الذاكرة والتشيؤ والاغتراب في روايات علي بدر وبختيار علي
– دراسة سوسيو سردية مقارنة –
Memory, objectification, and alienation in the novels of Ali Badr and Bakhtiar Ali - a comparative socionarrative study -

م. بوتان لطيف عبدالقادر
مدرس
جامعة صلاح الدين/ أربيل– كلية التربية/ شقلاوة

أ.د.يادكار لطيف جمشير
أستاذ
جامعة صلاح الدين/ أربيل– كلية اللغات

M. Botan Lateef Abdulqadir
Teacher
Salahuddin University/Erbil- College of Education/Shaqlawa

Dr. Yadgar Lateef Jmsheer
professor
Saladin University/Erbil - College of Languages

botan.abdulqadir@su.edu.krd
yadgar.jamsheer@su.edu.krd

تاريخ الاستلام ٢٠٢٤/٧/٢١ **تاريخ القبول** ٢٠٢٤/٨/٢٢

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، علي بدر، التشيؤ، بختيار علي، الذاكرة، السرد المقارن

Keywords: Alienation, Ali Badr, reification, Bakhtiar Ali, memory, comparative narrative.

الملخص:

العلاقة بين الذاكرة والتشيؤ والاغتراب علاقة قائمة على طبيعة التعامل بين الذوات في البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عامة داخل فضاءات المجال العام، والرواية بدورها ذاكرة كلية تحوي العلاقة بين الخطاب السردي والذاكرة من جهة؛ وفاعلية الذاكرة ومقاومة التشيؤ والاغتراب من جهة ثانية، إن هذه الدراسة الموسومة بـ **(الذاكرة و التشيؤ والاغتراب في روايات علي بدر وبختيار علي)** هي دراسة سوسيو سردية مقارنة، تتألف خطتها من تمهيد ومحورين، ففي التمهيد درست العلاقة بين السرد والذاكرة، وسلطتُ الضوء على مفهوم التشيؤ والاغتراب. وأما المحور الأول فخصص لفاعلية الذاكرة، وتناول المحور الثاني فاعلية التشيؤ والاغتراب، ولخصنا في الخاتمة النتائج توصلت إليها الدراسة .

Research summary:

The relationship between memory and reification is based on the nature of interaction between subjects in the social, political, and economic environment in general within the spaces of the public sphere, and the novel, in turn, is a comprehensive memory that contains the relationship between narrative discourse and memory on the one hand; On the other hand, the effectiveness of memory, objectification, and alienation. This study, titled (**Memory, objectification, and alienation in the novels of Ali Badr and Bakhtiar Ali - a comparative socionarrative study**), and consists of an introduction and two axes. In the introduction, we talked about the relationship between narrative and memory, as well as the concept of objectification and alienation. . As for the first axis, we talked about the effectiveness of memory, and in the second axis we talked about the effectiveness of objectification and alienation, and in the conclusion we summarized the results reached by the study. With a list of sources and references.

المقدمة

١- العلاقة بين السرد والذاكرة:

العلاقة بين السرد والذاكرة علاقة وثيقة، قائمة على فعل الاستذكار أولا، والوعي والإدراك والمخزون في النظام العصبي ثانيا، والتي تنتج نشاطا عقليا وفعلا سرديا، وفاعلية ذاكرة الخطاب السردي مشحونة بالعلامات الموروثة، تستحضر الماضي، وتتوفر فيها معالم الحاضر والمستقبل أيضاً، والرواية هي بمثابة حقيبة ذاكراتية، ترتبط مبادئها بالوعي والإدراك والتواصل، ولغتها منظبطة وفق آليات العلاقة الشاملة بين الذاكرة والوعي والأحداث في الأزمنة المختلفة، و يفهم الأوضاع والمواقف والاحتمالات في النص السردي داخل سياق الزمن السردي، وضمن التفاعل بين الفواعل والأحداث والإشارات الأخرى المتعلقة بالمكان والخلفية الفكرية وكل ما تتشكل منه الرواية[١]. إن التفاعل بين المعطيات التشكيلية للخطاب الروائي محاطة بالذاكرة، إذ إنها تتشكل كتلة تواصلية منبثقة من الواقع المعيش، ويشمل هذا التفاعل الذاكرة التواصلية الحسية– المعرفية، والذاكرة الثقافية التراثية التي تحتوي أثر الموروث الجمعي، والفردي، والذاكرة الإدراكية المتمثلة بالوعي والتفكير والتخيل، وهذا الخطاب التذاكري في النص السردي يتكون

[١] بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، ص ١٢١.

من مجموعات سيميائية، وفق الآليات السردية المتمثلة في الاسترجاع والاستباق وما يشترك في تشكيل الرواية[٢].

والرواية بوصفها لغة من لغات التواصل في المجال العام، ترسم الذاكرة فيها المشتركات التي ترتبط بالفواعل ضمن الأنساق المختلفة النابعة من الفعل الجمعي المتمركز في الرغبة الجمعية عامة، والفعل الفردي الذي بوصفه جزءاً من الواقع العام المعيش، وذاكرة الفعل السردي مشحونة بمعطيات المجال العام بكثافة، وهكذا كانت العلاقة بين الذاكرة العامة في الرواية والذاكرة في المجال العام علاقة تواصلية وثيقة، ويدرك أثر الأبعاد التاريخية في الحياة على الفرد والجماعة عن طريق إعادة بنائها وفق مسار الذاكرة التي تضبط معالم العلاقة في مسار الحياة العامة، وتعتمد الذاكرة في عملها على الفعل التواصلي، حفاظاً على المشاركة في التفاهم والإدراك لبناء الروابط بين الذوات والفواعل المكملة لتأسيس التواصل العام[٣]. تقوم الذاكرة في فاعليتها بربط الفرد بالجماعة، والماضي بالحاضر في المجالات المشتركة التي تتمثل في الآداب والقيم والتجارب المؤثرة، فهي بمثابة أرضية خصبة للخطاب السردي الذي يستعملها بوصفها مرجعاً سردياً، وملاذاً نفسياً عن الشخصيات الفاعلة. لهذا تؤدّي الذاكرة دوراً حيوياً في تشكيل الهوية التواصلية التي تمثل التواصل العام المنبثق من رحم التواصل الحضاري والتراثي، في المجال العام، كمجال مشترك للتجارب والتوقعات، سواء أكانت في الذاكرة الفردية أم الذاكرة الجماعية[٤]. وهكذا كانت الذاكرة فاعلاً تواصلياً بين الفواعل في الخطاب السردي، وفي المجالات المختلفة للواقع المعيش، الذي يمثل المجال العام.

٢- مفهوم التشيؤ والاغتراب

يقصد بالتشيؤ reification" "تحويل شخص أو مفهوم مجرد إلى شيء، أي التجسيد الذهني له، ولكن التعبير أصبح مصطلحاً نقدياً يشير إلى عملية (تجميد) العلاقات أو العمليات ومعاملتها معاملة (الأشياء)، والمعنى الجديد؛ يشبه ما يعنيه ماركس بتعبير الفتشية fetishism، عند الإشارة إلى تحول السلعة إلى شيء ثابت بدلاً من اعتبارها عنصراً من عناصر عملية التبادل بين المجموعات والأفراد"[٥].

---

[٢] معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ت: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، ص٣٦١.

[٣] المعرفة والمصلحة، يورجن هابرماس، ت: حسن صقر، ص٢٠٢، ٢١٣.

[٤] الذاكرة الحضارية/ الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولي، يان أسمن، ت: عبدالحليم عبدالغني رجب، ص٣٠.

[٥] المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم إنجليزي وعربي، الدكتور محمد عناني، ص ٩٠.

وما يُفهم من هذا هو أن الإنسان يفقد سمته الإنسانية، ويتحول إلى مجرد أشياء، ويؤدي هذا الأمر إلى نوع من التراجع من علو مكانة الإنسان مقارنة بالأشياء الأخرى. ويرى الناقد الدكتور سعيد علوش في كتابه (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) أن التشيؤ "مصطلح وظفه (لوكاتش) في النظرية الماركسية؛ للدلالة على العمل المستلب، والذي يفرق بين الإنسان وإنتاجه"[٦]، وهذا يعني أن أول من تناول هذا المصطلح هو الناقد المجري جورج لوكاتش، مؤسس الماركسية الغربية، وإنه يربط مفهوم التشيؤ بنظرية ماركس، في ما يتعلق بالإنسان المقهور والعمل المستلب، وهذا ما جاء في النظرية الرأسمالية التي أدت إلى جعل الإنسان سلعة، ويرى لوكاتش أن "بنية التشيؤ في مجرى التطور الرأسمالي، تنغرس أكثر فأكثر عمقاً، في وعي الناس. وكما أن النظرية الاقتصادية للرأسمالية تقف عند هذه المباشرة التي خلقتها هي، وتقف عندها المحاولات البرجوازية أيضا لتعي الظاهرة الأيديولوجية للتشيؤ، حتى أن المفكرين الذين لم يرغبوا نفي أو إخفاء الظاهرة، والذين رأوا بأكثر أو أقل وضوح نتائجها الإنسانية المدمرة، ظلوا على مبادرة التشيؤ ولم يجروا أية محاولة لتجاوز الصيغ المشتقة و الأبعد للسير الحيوي الخاص للرأسمالية، الأكثر ظاهرية والأكثر تفريغا، ليصلوا إلى ظاهرة التشيؤ الأصيلة"[٧]. وهذا ما جعل من مصطلح التشيؤ أن يكون من المصطلحات الدالة على الهيمنة الرأسمالية في العالم، إذ إن ظهور التمييز الطبقي والتحولات الفكرية؛ هي التي أدت إلى ظهورها.

وانتقل المفهوم من (لوكاش) إلى (لوسيان جولدمان) الذي اشتغل عليه في ستينيات القرن المنصرم، "للدلالة عن اختفاء الشخصية في الرواية الفرنسية الجديدة، وحلت محلها الأشياء التي تقضى على كل مبادرة إنسانية، أي حل مكان الشخصية واقع مادي مستقل عن العالم، حيث تتحول الشخصية نفسها إلى موضوع تبادل إلى شيء مستقل عن نشاطها وإرادتها"[٨]، وهذا ما جعل من هذا المصطلح بعداً من أبعاد الرواية المعاصرة، بسبب اختفاء الشخصيات والفواعل بداخلها، وحلول السلع والجمادات من الأشياء محلها. وقد يتحول التشيؤ إلى الاغتراب بسبب هذا التحول الذي يشمل الأفراد، ويحولهم إلى سلع أو أشياء، لأن ظاهرة التشيؤ جردت الأنسان من كثير من صفاته، وأن يُنظر إليه من خلال عملية إنتاج السلع (للعمال- البروليتاريا) كشيء بوصفه كائناً مسلوباً في الإرادة، وإن أول من استعمل مصطلح الاغتراب هو هيجل، إذ ربطه بانفصال الإنسان عن الواقع وغاياته الأساسية، وخروجه عن سيطرة وعيه، لأسباب تتعلق بالعمل والإنتاج، ويتشيأ الإنسان أثناء هذه العملية السالبة لصفاته الإنسانية، وكذلك معاناة وعيه المعزول عن الواقع لأخذ زمام ما أنتجته البشرية من جديد، إذ ينبثق هذا التحول من النشاط

[٦] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش، ص ١٣١.

[٧] التاريخ والوعي الطبقي، جورج لوكاتش، ت: الكتور حنا الشاكر، ص٨٨،٨١.

[٨] قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دكتور سمير سعيد حجازي، ص١١٥.

الإنتاجي أو ما يسمى برأس المال في الفلسفة الماركسية، والمستعارة أصلاً من فكر هيجل(صنمية السلعة)، وهكذا أصبحت العلاقة بين التشيؤ والاغتراب علاقة وثيقة، وإنهاء الاغتراب مرهون بإنهاء التشيؤ، لأن كليهما ناتج عن الوضعية البيروقراطية والتفكير الأداتي في المجتمع عامة، ولا سيما المجتمع الرأسمالي بوصفه مجتمعاً متأزماً[٩]. وربط جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي التشيؤ والاغتراب بفقدان الإنسان لنفسه وحريته، إذ يقول: "إن الإنسان يبيع نفسه، ويتنازل عن حريته، يعنى التنازل عن صفة الإنسان فيه والتنازل عن الحقوق الإنسانية، ونزع كل حرية من إرادة الإنسان، هو نزع كل أدب من أعماله"[١٠]. وأما ماركس فينظر إلى التشيؤ والاغتراب بأنه استلاب الإنسان لذاته؛ لـ"إن الإنسان يفقد حريته واستقلاله الذاتي بتأثير الأسباب الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية، ويصبح ملكاً لغيره أو عبداً للأشياء المادية، وتتصرف السلطات الحاكمة فيه تصرفها في السلع التجارية"[١١]. وينظر إيريك فروم إلى ظاهرة التشيؤ والاغتراب، بوصفها عملية تخلي الإنسان عن وجوده الأصيل في الحشد، وعن الوجود عامة، وخضوعه للأشياء[١٢].

وحاول (يورغن هابرماس) بوصفه الفيلسوف المتخصص في المجال العام أن يجد مخرجاً للأزمة التي يعيشها المجتمع الغربي الرأسمالي، وذلك من خلال التباين بين العقلانية الأداتية التي ينشأ من فاعليتها التشيؤ والاغتراب، والعقلانية التواصلية التي تكون رابطاً بين الذوات في السياق المجتمعي عامة، والسياق الفردي أيضا في الواقع المعيش المرتبط بالمجال العام، ويعتمد قوام هذا الصراع على أساس نظرته النقدية للوضعية العقلانية الأداتية عند الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت النقدية المتمثل في كل من هوركهايمر وأودورنو وماركوس وفيبر..، الذين عُنوا بالعقلنة الاجتماعية التي تبرز من خلال الترابط الساخر بين مجالات الحياة التقليدية المحلولة في روابط فرعية للفعل العقلاني بمقتضى الغاية، وانكماش الفرد والفواعل بوصفهم ذواتٍ مسلوبةً الإرادة والحرية، وكان الفعل العقلاني الغائي نابعاً من نظرية الفعل العقلاني الصوري عند فيبر، وهكذا يتحول الفعل التواصلي إلى الوسط المالي المولِّد للتشيؤ، وكذلك الوضعية العقلانية التواصلية المنجِزة لفعل التعايش والتفاهم بين الأفراد والفواعل بمحض إرادتهم الحرة ومكانتهم الإنسانية، ورفض العلاقة الأداتية بين الذوات والفواعل في المجتمع، أو الذات والموضوع[١٣].

---

[٩] النظرية النقدية – مقدمة قصيرة جدا، ستيفن إيريك برونر، ت: سارة عادل، ص٤٥،٤٣.

[١٠] العقد الاجتماعي أو مبادىء الحقوق السياسية، جان جاك روسو، ت: عادل زعيتر، ص ٢٦.

[١١] معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٧.

[١٢] الاغتراب عند إريك فروم، د.حسن محمد حسن حماد، ص٧٤.

[١٣] نظرية الفعل التواصلي – عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية، يورغن هابرماس، ت: فتحي المسكيني، مج١، ص ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧.

وبذلك نجد التداخل بين التشيؤ والاغتراب والاستلاب أيضاً، حيث يشعر الإنسان بالتشيؤ والاستلاب من خلال الشعور بالاغتراب، عندما يُسْتَلَبُ منه عقلُه، ويكون فاعلاً أداتياً، وليس فاعلاً تواصلياً بعقله في المجتمع بشكل عام. ليس التشيؤ والاغتراب مصطلحين خاصين بالفلسفة أو علم الاجتماع أو علم النفس، بل هما مصطلحان متداولان في العلوم الإنسانية عامة. ثم دخلا في مجال الأدب، وذلك حين درس الباحثون من خلالهما تداعيات السلطة وهيمنتها في فرض بعض الأمور أو الإجراءات على الإنسان، منها جعل الإنسان سلعة، أو استبعاده وطرده إلى خارج كيانه الجماعي، وجعله أداةً. فمن هذا المنطلق وبالاستعانة بالنظريات النفسية والمنهج النفسي خاصة دخل هذان المصطلحان إلى الساحة الأدبية والنقدية والسردية.

المحور الأول: الذاكرة

ترصد الذاكرة في رواية أساتذة الوهم لعلي بدر الماضي الغابر من خلال استحضار عالم منسي في ذاكرة الراوي الفردي، إذ تسترجعه بتفاصيله الدقيقة المتعلقة بالأحداث التي جرت أثناء الحرب العراقية الإيرانية، فيكشف الراوي عن مصير من كان معه من الجنود الشعراء في هذه الحرب، وتبدأ ذاكرته باسترجاع ذلك اليوم الذي كان فيه مع صديقيه (منير وعيسى) في بغداد سنة ١٩٨٧، وهذه الذاكرة الفردية التي تعبر أساساً عن الذاكرة الجمعية، جزء من رسالة أرسلتها (ليلى السماك) من روسيا للراوي: "**كنا ثلاثة، نقف قبالة مقهى صغير، في زقاق قاتم ومعتم، يتفرع من شارع أبي نواس، كانت أرضية المقهى قذرة، منفرة، كأنها أرض خمارة، وضياء المصباح الليموني يرتسم على وجوهنا ناعما ورقيقا..، كانت رسالة ليلى السماك – الرسالة التي ذكرتني بتلك الأيام المنسية من حياتي – غير متوقعة ابداً. لقد تسلمتها باضطراب وتوتر كبيرين في ظهيرة يوم تشريني مشمس من العام ٢٠٠٣ ، وأنا في مقهى على البحر في بيروت، بينما كانت هذه الرسالة مرسلة لي أصلاً على عنوان أهلي في بغداد، فعمدت والدتي لإرسالها خلفي على عنوان ناشري في بيروت، ولأني كنت أغير إقامتي تلك الأعوام كل شهر أو شهرين تقريباً، فقد فاتتني الرسالة على الأقل عاماً كاملاً. كانت الرسالة مرسلة من روسيا، وقد لاحظت ذلك من الطابع الملصق على المظروف قبل أن أقرأ العنوان، وهو صورة تخطيطية باللون الأزرق الفاتح للشاعر الروسي المعروف مايكوفسكي..، كان صعود صدام حسين هو تقهقر بغداد من الناحية السياسية، لقد وصلت بغداد ذلك الوقت أعلى نقطة لها في القمع السياسي، وفي القهر، وفي الاستبداد، وفي نهاية الحياة السياسية بالكلية، كانت نوعاً من نهاية الفضاء العام الذي ينتج السياسة والثقافة والحياة. ولكن المفارقة أيضا أنها بلغت أعلى نقطة لها في مدنيتها في الثمانينيات. كان التناقض بين حكم استبدادي توتاليتاري فظٍ وبين تطور مدني وحضري هو الذي أوصلنا إلى نوع من التناقض الفصامي،**

إن جاز التعبير، وأدى إلى تهدم الحياة المدنية في التسعينيات، ذلك أن القهر السياسي لن يسمح لتطور حياة المدينة بالمرة"[١٤].

تأخذ الدفقة السردية حضورها من الذاكرة الفردية التي تمدّ الذاكرة الجمعية بالمادة والحيوية، إذ تتسع هذه الذاكرة الفردية لليلى السمّاك، ذاكرة مدينة بغداد، بأوضاعها المختلفة، وفواعلها ولا سيما جنود الجيش العراقي، الذي يدل حضوره المكثف على تحويل البلد إلى حكم عسكري توتاليتاري، وإلى انعكاسات الحرب العراقية – الإيرانية على واقع الحياة اليومية، ومن خلال هذه الذاكرة، استطاع الراوي أن يقوم بقطع الزمن السردي، وجعل من ذكر أحداث الماضي ملأ للفراغ السردي أو القطع الزمني المستحدث، واطّلع المتلقي عن طريقه على تاريخ بغداد في الثمانينات والتسعينات، ما يعني أنّ ذاكرة الراوي هي نقطة انطلاق نحو استذكار أحداث الماضي المتعلقة بالذاكرة الجمعية[١٥]. وأسهم شعور الراوي بالاضطراب والقلق عند استلامه لتلك الرسالة في تحفيز ذاكرته الفردية المليئة بأحداث وقضايا متعلقة بالمجال أو الذاكرة الجمعية، وذلك عبر سرد الراوي للأحداث أو المونولوج الداخلي الذي يعبر فيه عن المفارقة التي تكمن في التباين "بين مظاهر المدنيّة والتحضر والانفتاح من جهة، وبين الدكتاتورية والممارسات القمعية ونظام العسكرة من جهة أخرى"[١٦].

ونجد فاعل الذاكرة عند بختيار علي في رواية عمي جمشيد خان أيضاً، عند ما يقوم الراوي بسرد قصة رجل مناضل (بيشمركة) وهو (جمشيد خان)، اعتقله النظام البعثي، فيعتمد الفاعل الراوي على ذاكرة جمشيد خان كعامل مساعد له، وكانت العلامات المشتركة بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية هي الأحداث التاريخية كما كانت في رواية أساتذة الوهم لعلي بدر، مع الاختلاف بين كلتا الروايتين في أن رواية عمي جمشيد خان تستحضر الرغبة في رسم الظلم والاستبداد في تلك الفترة، لكي تبقى محتفظة بها في ذاكرة الأجيال، من أجل الاتعاظ بها: "**ويعرف أن أول طيرانه يبدأ من سجن خاص في مدينه كركوك، كان في ليلة باردة في الشتاء، وفي هذه الليله، كان أحد الحراس يضعه أمامه ليقوده إلى الأسئلة الرهيبة التي كان يعيش شهوراً تحت ضغطهم وضربهم وتهديداتهم المستمرة. لكن لكي ينتقل من سجنه إلى غرفة التعذيب، كان عليه أن يعبر ساحة كبيرة. أثناء النقل، يحدث شيء يتذكره جمشيد خان بوضوح ويخبر الجميع لاحقًا بفرح غير مسبوق، فكان هناك ضابط كبير يرتدي معطفًا طويلًا في غرفة**

[١٤] رواية أساتذة الوهم، علي بدر، ص٨٧،١١،٥.

[١٥] الزمن في الرواية العربية، د.مها حسن القصراوي، ص١٩٢.

[١٦] أفعال التذكر واستراتيجيات النسيان في الرواية العراقية/ رؤى عبر أفكار/ بول ريكور– يورغن هابرماس– حنه آرندت، ص٦١.

بعيدة قليلاً من نفس الساحة، يحتاج إلى المفاتيح التي كانت بيد رفيق جمشيد وحارسه الشخصي، طلب هذا الضابط بغضب من الرجل أن يعود ويفتح له الباب. قال رجل الأمن العربي لجمشيد: "توقف ها هنا ولا تتحرك. سأعود الآن". جمشيد يتوقف ولا يتحرك... بعد ذلك مباشرة، لم يعرف أحد ماذا حدث، ولكن من الواضح أن رياحًا مفاجئة وقوية جدًا قادمة، رفعت جمشيدخان على الأرض بداية. وما يتذكره جمشيد هو أنه في البداية شعر بدوار شديد، وخوف شديد، وشعر كأنه مثل القشة تأخذه الريح بسرعة، وترفعه أكثر من جدران السجن. يتذكر جمشيد أنه كان شيوعيًا حينما كان في السماء، ولكن بمجرد هبوطه على هذا السطح، لم يعد شيوعيًا. الريح تحمل جمشيد من الجنوب إلى الشمال، فينسى ما كان عليه سابقاً، وكثيرا عندما تأخذ الريح جمشيد، ومجرد وصوله إلى سطح الأرض يتغير فيه شيء مهم. ويتولد فيه شغف جنوني عميق. مرة بعد أخرى، ومع كل سقوطاته، يضيع بعض ذكرياته، وبعضها يتلاشى ويتلاشى.. يصل جمشيد في ظهيرة متأخرة إلى بيت جدي. يعجب حسام خان بهذا الصبي الضعيف، الذي كان جلدا رقيقًا فوق بعض عظام، ومع ذلك فإن عودة جمشيد الذي كان مفقوداً منذ أشهر، يسر قلب جدي كثيرا. لأن في تلك الفترة، حيث كانت وحشية البعثيين تتزايد أكثر فأكثر، و لا أحد يأمل بخروج أي سجين من السجن، والذين اعتقلهم البعثيون، نادراً ما يخرجون من السجن أحياءً، لا سيما إذا كانوا من الشيوعيين) [١٧].

وبما أنّ السجن مجال عام، تلتقي فيه أناس من كلّ حدب وصوب، لقضاء الأحكام الصادرة بحقهم، نجد له حضوراً فاعلاً في الرواية، وداخل هذا المجال سلّطت الرواية الضوء على فاعل رئيس هو (جمشيد خان) الذي يمثّل عدّة أدوار وفق تعبير (غريماس) فهو فاعل واحد، لكنّه في الوقت نفسه وهو مسجون، وطائر، وذو خلفية متغيّرة مع كل طيران وهبوط، وهو أيضاً ابن لعائلة. وقد اتخذ الراوي من الريح حافزاً لتقلبات الخلفية الفكرية والهوية للفاعل جمشيد خان، وتستدعي الذاكرة الفردية له جرائم النظام البائد واستبداده وقهره ضد المجتمع عموماً والفاعل جمشيد خان خصوصاً، فهي الذاكرة الحية الفردية التي كانت حافزا للذاكرة الجمعية، ومثلت الريح عاملاً معرقلاً أمام فعل الفاعل جمشيد خان، حينما تهب الريح وتعصفه ومن ثم تسقطه في مكان غير مألوف بالنسبة له، وفي كل مرة يفقد ذاكرته، ويستحضر بشاعة الأجهزة الأمنية آن ذاك، حيث يمثل عاملاً مساعداً بمثابة جعبة تحمل الأحداث المنسية في الذاكرة الجمعية لفهم الماضي الغابر العام المتعلق بالمجالات العامة، ويستغرب حسام خان عندما يرى جمشيد خان للمرة الأولى، إذ فقد هيأته وهندامه في السجن بسبب التعذيب، وكان جمشيد خان يشعر بالاضطراب بعد ما تحمله الريح وتسقطه خارج السجن، ويعجز عن استرجاع بعض

[١٧] رواية جەمشيد خان، بختيار علي، ص٧،٩.

المعلومات، وكان لهذا الهبوط والسقوط صدمة نفسية تتسبب في فقدانه لهويته الفكرية: (**يتذكر جمشيد أنه كان شيوعيًا حينما كان في السماء، ولكن بمجرد هبوطه على هذا السطح، لم يعد شيوعيًا. ريح تحمل جمشيد من الجنوب إلى الشمال، ينسى ما كان عليه سابقاً**")، ومثلت هذه الصدمة عاملاً معرقلاً أساسياً للعجز المفاجيء عن تذكر معلومات الأحداث بشكل منظم، فيسنى ما كان عليه من قبل، فهو كان شيوعياً في السجن قبل أن تعصف به الريح، ولم يزل كذلك بعد أن حملته إلى السماء، ولكن بعد سقوطه من السماء فقد هويته الفكرية الشيوعية ونسي أنه سجن بسببها، و" يتصف هذا الاضطراب بأن المصاب به يسافر فجأة من منزله ومكان إقامته أوعمله بعيداً من دون هدف محدد، ويعاني الشخص من فقدان الذاكرة، وخاصة تذكر الماضي وغياب الإحساس بالهوية الذاتية جزئياً أو كلياً، وكثيراً ما يتخذ هوية جديدة لنفسه، وفي أثناء التشرد أو التجوال ينسى الشخص ماضيه تماماً، ويعيش في المكان الجديد، ويتخذ لنفسه هوية وعملاً جديدين، ومع نهايه الحالة وحين يعود الشخص إلى وضعه الطبيعي ينسى ما حصل معه"[١٨]. فبفضل هذا النوع من الغرائبية التي تدخل ضمن الواقعية السحرية، استطاع الكاتب أن يجعل من الذاكرة أداة فاعلة في بيان الأدوار التي يمثلها فاعل واحد في العامل جمشيد خان؛ إذ نجد التلاقي بين روايتي أساتذة الوهم لعلي بدر وعمي جمشيد خان لبختيار علي؛ في الإجراء التذاكري السردي، حيث إن الفاعل الراوي في كلتيهما يسترجع الأحداث السياسية العابرة في المجال العام، من خلال ذاكرة العاملين ليلى السماك وجمشيد خان، ولكن الاختلاف يكمن في أن المجال العام في أساتذة الوهم ينصب في الحرب بين العراق وإيران في ثمانينيات القرن العشرين، وأما في رواية عمي جمشيد خان يمثل الحرب الداخلي بين القوى الكوردية والنظام السابق آنذاك، ويختلف العامل ليلى السماك مع جمشيد خان في كونها خارج الأحداث، أما جمشيد هو جزء من الأحداث بوصفه مناضلاً كوردياً.

العلاقة بين الذاكرة والوعي كانت علاقة وثيقة وعضوية، ومنظومة هذه العلاقة مرتبطة بحوافز الذاكرة، وكانت المشاعر والأحاسيس كثنائية محفزة، من جهة، وثنائية الحلم واللاوعي من جهة أخرى تقويان الذاكرة وتحفزانها في بيئة إدراكية واعية، وذلك من خلال استحضار الذاكرة الفردية لقضايا متعلقة بالذاكرة الجمعية، ويحمل الخطاب السردي في هيئته هذه العلاقة، إذ يمثل مرآة وشاشة لرصد أحداث وقضايا وخلفيات فكرية، ونزعات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، فيكون تفاعل الذاكرة ومنظومة الوعي بمعية سردية، وهذا ما نجده في رواية (شتاء العائلة) لعلي بدر متمثلاً في حضور الذاكرة التي من خلالها يرجع السارد إلى واقع الماضي الغابر المعيش في بغداد في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي: "**رنة الملعقة**

[١٨] سايكولوجية الذاكرة – قضايا واتجاهات حديثة، د.محمد قاسم عبدالله، ص٢٨١.

على الصحن، صوت البلاطة المخلخلة في العلية، صوتها القديم العذب القادم من مكان قصي، وحين تنبهت على نفسي كان الشعور الغامض والملغز، وهو الشعور الوحيد الذي داهمني في تلك اللحظة، هو ما قادتني إليه تلك الخزانة الجامدة من حركة أشبه بالومضة، وحياة كاملة تقريبا، وتبدل فصول طويلة وتعاقبها، وهناك وفي المنزل الذي يشبه خزانة الذكريات والصور: ورق الأشجار، وأزهار الحدائق الغابية المخضلة، وذكريات نتفحصها كما لو كنا نتفحص ظلا في العتمة. كنت أتساءل في تلك اللحظة، عن هذا السر العظيم الذي جعلني أتامل هذا الغياب بذهول وحب النادرين، وأنا أنقذف بعيداً في ماض بعيد وناء وبمشاعر خالصة ومتناقضة وحية أحيانا، كنت أقول للذكرى تحملني هذه الصورة الساكنة إلى عالم قد تهاوى كلياً تقريباً، وللحب – ربما – كنت استحضر هذا الغياب الذي ينتشر أمامها. وقد كنت في تلك اللحظة كما لو كنت في بيت الأحلام، في المكان غير المسكون والخالد معا، وأنا أتمسك بهذه الصورة وبالوشوشة شبه المتكلمة، وأنحدر إلى عالم كامل، عالم ناء وبعيد، لكنه عالم يحمل كل قوته معه، كنت أرفع الستارة لقاء ذكرى بسيطة، ذكرى كائنة تحت ستار كبير مرفوع، بينما العشبة اليابسة في كينونتها تبقى غائبة ومعدنية، والضوء الذي يجمدها هو الذي يجعلها خالدة وأبدية"[١٩].

الجلوس على الطاولة مع العائلة مظهر من مظاهر المجال العام، ولا سيّما عند العائلات الكبيرة التي تستقبل الضيوف على مدار السنة، من هذا المنطلق وظف الكاتب هذا المظهر وركز على جزء من جزئياته وهو رنة الملعقة على الصحن، وصوت البلاطة، اللذان تحوّلا إلى منبّه في وعي السارد، يطّلع المتلقي عن طريقه على ترسبات الذاكرة، وآلية توارث التقاليد تاريخياً جيلا إلى جيل، إذ تؤدي الذاكرة هنا لعبة ماهرة في العودة إلى الماضي، حيث الأحداث الماضية والوقائع وهيمنة الطبقة الأرستقراطية على الحياة، تكون مدركة عن طريق هذه الرموز أو العلامات النصية التي تنبثق من رحم البرجوازية، فها هنا نجد أن النص البرجوازي يحمل الواقع المعيش الأرستقراطي في تلك الحقبة من عمر بغداد، واتخذ من كثير من حوافز الذاكرة عاملاً موافقاً في رسم تلك الفترة، فينسج الوعي بدوره هذا التشكيل السردي في الذاكرة، ولوجاً إلى خفايا وخلجات نفسية، والمشاعر والأحاسيس الظاهرة في عقل الراوي أثناء عودته إلى القصر، وإن قوة الإدراك بمعية الحلم؛ هي التي تستحضر الواقع المهجور والمرموز بهذه العلامات المتروكة مثل رنة الملعقة، وأصوات البلاطة، وكذلك الشعور الغامض والملغز، نحو خزانة الذكريات التي هي بمثابة بؤرة لرصد الحياة الأرستقراطية، وهذا الاستحضار الغائب الساكن، الذي يكاد يوشك على التهاوي والهلاك؛ يشبه في ذاكرته الفردية الحلم الذي يمثل بيئة

[١٩] رواية شتاء العائلة، علي بدر، ص١٥٣-١٥٤.

لإدراك الذاكرة الجماعية المعبرة عن حوافز شعورية عامة. ودائما ما يكون للأحداث الواقعة أثر في ذهن الإنسان، بشكل أو بآخر، وهذا الأثر يكمن في عمق ذهن الإنسان، وكثيراً ما ينسى الفرد هذه الأحداث، ولكن هذا النسيان إجراءً من الإجراءات المحفزة للذاكرة المنشئة في العقل الواعي، والذي هو وجه من أوجه العقل الخفي الباطن، وكانت الحوافز اللاشعورية في المنظومة الإدراكية للإنسان ثابتة على حد تعبير فرويد، الذي يربطها بالغرائز، والذي يعللها علي الوردي بما يواجهه الإنسان من أحداث وتجارب واقعية، وهذه الذاكرة السردية هي التي تحمل ما يتعلق بمعطيات المجال العام[٢٠]. إن المعالجة الواعية للنص، موازية للمعالجة الإدراكية للذاكرة، وذلك بالاعتماد على العلامات والإشارات النصية الموجودة في البنى الكبرى المتمركزة في ذاكرة المعالجة الإدراكية للنص السردي[٢١].

يخلق الإنسان في ذاكرته أحيانا أفكاراً وحكاياتٍ تخوفه، فيتغلغل الخوف في وعيه، ليسيطر على إرادته، مما يسبب له صدمةً تصيبه بنوع من الأنواع؛ لأن وعيه وصل إلى مستوى لا يستطيع معه فهم ذاته وما يحيطه تماماً، لوجود تقصير في وعيه، وإرادته في تطعيم الذاكرة والذهن بالفهم التام للأمور أو القضايا المتعلقة بعالمه المعيش، كما نجد ذلك عند بختيار علي في رواية غيوم دانيال: "**وهناك بعض الحكايات قد تؤذيك من دون سبب، تشعر أنك تعرف هذه القصة، ولكنك أرغمت نفسك لنسيانها في ذاكرتك، وتعتقد أن هذا الراوي الحاكي الحكائي الذي أمامك؛ هو شخص ماكر، وله نوايا خبيثة، فهو يذكرك بهذه القصة التي أردت أن تنساها، وقال البروفيسور بهنام بمكر: "نعم.. نعم.. أفهم.. من حقك أن تتعب، كانت هذه الحكايات مؤذية جداً، حينما كانت في الخيال أولاً، ثم تحدث فيما بعد، ولكن كل كوارث الدنيا كانت هكذا، هي في البداية في الخيال وبعد ذلك تتحول إلى حقيقة".. تقول الحكاية حينما ينشر حلم دانيال، وفي مساء ما اجتمع المئات من الأشخاص الغاضبين أمام السجن الكبير، وخلقوا ضجة كبيرة، يريدون إشعال النار في السجن، يطالبون بتسليم دانيال إليهم ليحرقونه، ويتوهمون أنهم بهذا ينجون، ويعتقد الكثير من الناس بأن دانيال ساحر عظيم، ويعتقدون بأن أي حلم يحلمونه، وأية وسوسة في قلوبهم صنعتها قوة سيئة جاءت من دانيال، ولكنه كتب في كتابه "أنا ما خلقت الخوف، بل اكتشفته فقط"، لقد نسي المرء أن هنا ليس جنة، بل هي مدينة الأسرى الساهرين، ولكن الناس لا يستطيعون أن يغيروا حياتهم، ولذلك يبحثون باستمرار عن مذنب وعدو لينسي شللهم وخوفهم هذا)**"[٢٢].

[٢٠] الأحلام بين العلم والعقيدة، الدكتور علي الوردي، ص٢٥٦.

[٢١] العلاماتية وعلم النص، د.منذر عياشي، ص١٧٧.

[٢٢] رواية هەورەكانى دانيال، بختيار علي، ص٢٥٨،٢٥٥.

يكون السجن هنا في هذا السياق السردي أيضاً مسرحاً للأحداث، بوصفه مظهراً من مظاهر المجال العام، المتعلق بحياة الناس، وقد عرض الخطاب السردي هنا المواجهة بين الذاكرة والنسيان، والإرادة والوهم، حيث يريد الفاعل أن ينسى بعض الأحداث والحكايات، ولكن السارد يذكّره بها كما فعلت في رواية شتاء العائلة لعلي بدر في **رنة الملعقة على الصحن، صوت البلاطة المخلخلة في العلية**، وهذا الصراع بين الذاكرة والنسيان، مرهون بقوة الإدراك الإرادي، وصار الوهم بينهما في هذه الحركة الدرامية الجدلية، يرشد الناس إلى الثأر من دانيال الذي اتهموه بالسحر، وإنه قد سبب لهم المتاعب والأذى. الخيال أصبح في هذا العرض فاعلاً يرسم الأحداث الواقعية، ويكشف أسرار الذاكرة وخفاياه، وهذا ما يخوّف المجتمع فيجتمعون مطالبين بـ (حرق السجن ودانيال)، وهكذا يرون نجاتهم من الأحلام الكابوسية والأزمات بحرق المكان والفاعل المعرقل، وذلك على أساس تحقيق الغاية، فيحاورهم دانيال بأنه اكتشف الخوف ولم يخلقه، وبمقدور الجميع أن يتخلصوا منه، ولكنهم عاجزون في تغيير حياتهم، ويخلقون في خيالهم صورة دانيال بوصفه السبب وراء هذه الاضطرابات والمآزق، وكانت السلطة للذاكرة كفاعل فعّال، والنسيان بدوره يمثل عاملاً له، والوهم هو الحاجز بين فاعل الذاكرة وفعلها الذي هو النسيان، ويعرض الفيلسوف الفرنسي بول ريكور هذه المسألة ويوضحها مستفسراً: "بأي صفة إذن بقاء الذكرى يعادل النسيان؟ لكن بالضبط باسم العجز، اللاوعي، الوجود، التي تملكها الذكرى وهي في حاله الكمون، وفي حالة كونها بالقوة . عندها فإن المادية لا تضع فينا النسيان، النسيان عن طريق محو الآثار، بل تضع النسيان الذي نستطيع أن نقول عنه إنه النسيان الاحتياطي أو الموارد. ويشير النسيان عندها إلى الطابع غير المدرك لاستمرارية الذكرى، خروجها عن دائرة تنبه الوعي" [٢٣]. فعن طريق هذا التلاقح الفاعل بين التذكر والنسيان، والوهم والحقيقة، سلّطت الروايتان الضوء على فاعلين كثر، ذكر اسم بعضهم، والأدوار التي مثلها، وأخفى ذكر أسماء الآخرين، لتعميق لعبة التذكر والنسيان، والحلم علامة أخرى من علامات التلاقي بينهما، وتلتقيان أيضاً في التفاعل بين الذاكرة والوعي، مع الاختلاف في كيفية التلاقي بين الذاكرة والنسيان، حيث أن الراوي في رواية شتاء العائلة يقوم باستعادة الواقع المعيش للطبقة الاستقراطية في بغداد، بينما في رواية غيوم دانيال يريد أن ينسى بعض الأحداث، والوهم يهيمن على الذاكره الجمعية.

تحمل الذاكرة شحناتٍ انفعاليةً مثيرةً أحياناً، وهذه الإثارة تحفز العلاقة الجدلية بين قضايا المجتمع وما يسترجعه الخطاب الروائي من أحداث وأماكن تاريخية، وقضايا أخرى مثيرة للجدل وعياً وشعورياً، وذلك من أجل رصد هذه الصورة التذاكرية الماضوية من الذاكرة الجمعية

[٢٣] الذاكرة، التاريخ، النسيان، بول ريكور، ص ٦٣٨.

والفردية، ومفادها الغاية النفعية والجبرية اجتماعياً وسياسياً على الصعيدين الفردي والمجتمعي بوصفها حافزاً من حوافز التنمية الثقافية والتوعوية؛ لتوجيه الفرد أو المجتمع نحو الصلاح العام والمنفعة الجمعية، وكذلك التوفيق الإيجابي في الرغبات بين الفواعل المختلفة في كيان المجال العام [٢٤]. ولو نظرنا إلى رواية (بندر فيلي) لبختيار علي، نجد هذا الفعل التذاكري في خطابه السردي له حضور قوي، وذلك بعد ما يقرر الفاعل السيد شهاب بإخراجه من السجن في رحلة ليلية مظلمة إلى مدينة بغداد، ليريه بعض المناظر والمشاهد، ويُعلمه بأن المكان الذي فيه بندر جزء من مكان أوسع منه، وتصحب هذه الرحلة جملة من الذكريات في صيغة تساؤلية مثيرة للمشاعر والرغبات: "**وقد حضر السيد شهاب أمامه، وأخذ يده، نظر إليه بدقة قليلا تحت ضوء اللمبات التي كانت فوق الجسر، لم يؤمن بأن هذا الطفل هو الرضيع الصغير الذي فارقه بيده من جسد أمه الميتة، وقطع مشيمته. لم يعرف لِمَ حضر أمام عينيه وجه أمه، و لَم يحضر في ذاكرته هذا الوجه أبداً، لكنه الآن وللمرة الأولى شعر بأن شكل هذا الطفل يشبه كثيراً شكل أمه، نظر إلى عينيه بعمق، وقال: "أنت تشبهها كثيراً؟.." سأل بندر: "أشبه من " أخذ السيد شهاب يده ومشيا، بعد وقفة قال له بهدوء: "تشبه أمك". ودخل الطفل والسيد شهاب فترة وجيزة في صمت، بعد ذلك سأل بندر هل نستطيع الذهاب إلى المكان الذي يذهب إليه الأموات. قال السيد: "في ليله أخرى، المقابر بعيدة من هنا كثيراً، كانت هذه الليلة فقط لترى بغداد، هنا مدينتنا**"[٢٥]. يرصد هذا المشهد الحواري السردي جزءاً من صور الظلم والاستبداد في المجال العام العراقي والكوردستاني، وكان الفاعل (السيد شهاب) في هذا الحدث هو الراويَ المشارك الذي يعرف التفاصيل الدقيقة حول العامل (بندر)، إن وجه العامل (بندر) أثار عثرة في ذاكرة الفاعل (السيد شهاب)، وتمثلت هذه العثرة في حوار تساؤلي واعترافي في السياق السردي للحدث، لذلك يقوم بتحريك عامله (بندر) الذي يمثل فاعلاً رئيساً في الرواية كلِّها، وكانت العلاقة الجدلية بين الفضاء السياسي العام، والخلفية الذاتية المتعلقة بالنزعة الإنسانية للفواعل والعوامل السردية هي علاقةً إشكاليةً ومثيرةً للجدل، من أجل تغطية النزعة غير الإنسانية العنيفة عند المؤسسات الأمنية آنذاك، حيث كانت هذه الإثارة السردية للذاكرة متعلقةً بعمل إبداعي، وسرد لحدث تاريخي فقط ، وخطاب توجيهي للمجال العام السلطوي والشعبوي المتعلق بواقع الأفراد وحياتهم في ظلّ نظام شمولي، وجاء هذا العرض للواقع المعيش من أجل إصلاحه وتوثيق العلاقة الوثيقة بين الذوات الجمعية والفردية وبين المؤسسات الحاكمة في البلاد.

---

[٢٤] اشتعال خطاب الذاكرة في رواية "بحر الصمت" لـ "ياسمينة صالح"، د.شفيقة عاشور، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد: ١، مج: ٢، ماي ٢٠٢١، ص٢٠١.

[٢٥] رواية بەندەر فەیلی، بختيار علي، ص٦٧-٦٨.

نجد في هذا النص السردي علاقة وثيقة بين الذاكرة والمكان، إذ يعدّ المكان محفزاً من محفزات تنمية الذاكرة الفردية في فضاء الذاكرة الجمعية، وكان بندر فيلي يتذكر أشياء متعلقة بالمكان الذي فيه (السجن)، لا سيما مسرح الإعدام الذي يشنق أمام ناظريه يومياً ضحايا، وقد شكّل هذا المنظر وخزاً في ضميره وذاكرته دفعه إلى أن يطلب من الفاعل (السيد شهاب) وفي المقابل أدَّتْ الذاكرة دورها في قيام (السيد شهاب) بتلبية مطالب (بندر فيلي) الذي ارتبط في ذاكرته بصورة أمه المشنوقة في السجن[٢٦]. وتتشابه روايتي شتاء العائلة وبندر فيلي في اللجؤ إلى رصد هذه العلاقة بين الذاكرة والمكان، وإن اختلفتا في الزمان والمكان، والمكان الكلي في كلتيهما هو مدينة بغداد في أزمنتها التاريخية المتلاحقة المختلفة المتحولة في المجال العام، ولكن تختلفان في استذكار المكان الجزئي والمجال العام، ففي الأولى هو القصر والبلاط الذي يذكّرنا سطوة الطبقة الأرستقراطية، أما في الثانية هو السجن الذي يذكرنا هيمنة النظام السابق على المجال العام، وقمع الهويات الأخرى، وكذلك الاختلاف يظهر في البعد الدلالي للمكان، حيث أن القصر مكان مفتوح وبهيّ ورحب، وبهذا كانت الذاكرة منفتحة في آفاقها وإدراكها، أما السجن مكان مغلق ومنسيّ، وكانت الذاكرة فيه مقصرة ومغلقة في دائرتها الإدراكية.

يمثل بندر هنا بوصفه فاعلاً، الشعب الكوردي المقهور عامة والفيليين خاصة في الفضاءات السياسية المتعلقة بكيفية تعامل نظام الحكم معهم. إن "رواية بندر فيلي فيها إشارات قيمة وعميقة للتعامل مع قضية التضحية وعلاقتها بالجلاد، وكانت تجربة بندر فيلي هي تجربة المضحي الذي يُجعل مضحيا مرة أخرى، وفرض عليه التضحية بوصفها وضعاً وجودياً (السجن)، ويجب أن يبقى فيه إلى الأبد، وكان يخرج من دائرة تضحية بعد فترة وجيزة ليدخل في دائرة أخرى"[٢٧]. وتكون الذاكرة الجمعية هي المحور والمرتكز في جميع السياقات الروائية في رواية شتاء العائلة وروايتي غيوم دانيال وبندر فيلي، فاعتمدت عليها لاستعادة الماضي المرغوب فيه، ونسي بعض القضايا الأخرى غير المهمة، والذاكرة هنا ليست الذاكرة الأصلية، بل هي التي كانت مشحونة بعثرات تذاكرية مفيدة، وتصاحب الفردَ في كيانه الجماعي لإحضار الموروث النافع له، وقد صارت الذاكرة أصلاً من أصول تكوين الكيان الفردي والجماعي لارتقاء مكانة الفواعل الفردية والجماعية، والواقع السياسي والاجتماعي والثقافي عامة في المجتمعات المزدهرة في مجالها العام[٢٨].

---

[٢٦] تمثلات السرد القصصي – قراءة في نماذج عراقية، أ.د.خليل شكري هياس، ص١٧٤.

[٢٧] ئەدەب وفاشیزم، کۆمەڵێ نوسەر، ص٢٦٠.

[٢٨] التاريخ الجديد ثورة الذاكرة التي تراهن عليها المجتمعات المتطورة، عبدالرحمن الحسناوي، صحيفة العرب، العدد: ١٢٩٠٢، السنة: ٢٠٢٣، الأحد ٢٤-٩-٢٠٢٣.

المحور الثاني: فاعلية التشيؤ والاغتراب

لقد وقعت الرواية المعاصرة تحت تأثير هذا المنزع التشييئي الاغترابي، فلوّنا المجال العام الروائي ، وامتّدت هذه الموجة أكثر إلى بناء الشخصيات، وانعكست هذه القضية في الوصف والمشاهد السردية في حقول الرواية، وقد برز بُعد التشيؤ والاغتراب في رواية (الكذابون يحصلون على كل شيء) لعلي بدر، في الموقف التشاؤمي للفاعل الرئيس جلال تجاه المجتمعات العربية التي دخلت في جمود قاتل، فاستحال التغيير في النظام السياسي الحاكم، وقد قدّم هذا الطرح من منظور السارد المشارك: "**أما جلال فقد كان يشعر على الدوام باستحالة التغيير في مجتمعات غارقة في جهلها ومؤمنة بقوى غيبية تحركها. أراد أن يتحاشى المظاهرة، أن يتحاشى حتى النظر إليها، وحين تجاوزها وصلت حالة الحزن عنده مبلغاً كبيراً: – ((أف مشهد يتكرر على مرّ التاريخ... حشود بشرية متفائلة...)) قال بصوت مسموع وهو ينفث الدخان من سيجارته بغضب. سحب نفساً اخيراً من السيجارة التي في يده، أراد ان يرميها على الأرض ويسحقها بعقب حذائه كما كان يفعل في بلده، إلا أنه وجد العديد من الأشخاص الذين سينتقدونه، أو الذين لن يسمحوا له أن يفعل ذلك، تقدم نحو حاوية الزبالة ورماها فيها. أراد ان يعبر الشارع فمرت حافلتان للشرطة... توقف، نظر إلى هؤلاء الرجال والنساء الذين يحملون الأعلام وشعارات الحرية... شعر بالحزن، ذلك أن نخبة صغيرة في هذه المجتمعات، نخبه صغيرة على الدوام هي التي تؤمن بهذه الشعارات، شعارات الحرية، المساواة، العدل. ماذا لو كانت هذه النخبة أكبر؟ ماذا لو كانت هذه النخبة هي التي تشكل عموم المجتمع؟ فالطبقة الرثة... هي الطبقة التي تستحوذ على المجال العام وتسيطر على الشارع، ماذا لو كان هناك نخبة كبيرة من المتأثرين بعصر التنوير، من المؤمنين بالعدل بوصفه القوة الحقيقية القادرة على تنظيم الحياة)**[٢٩].

يتمتاز هذا النص بانفتاحه لقضايا المجتمع وتواصله مع القارئ، لأنّه يتناول قضاياه في العدالة والمساواة وضمان الحقوق. وإذ كانت الشعوب العربية عموماً والشعب العراقي خصوصاً بمثابة أداة أو سلعة بيد النخبة الانتهازية من جهة، وبيد السلطات من جهة أخرى، وكان الراوي (جلال) هنا يسرد قصة المواقف المأزومة الشعبوية المسلوبة، ونخبة ممزقة ضئيلة ماشية مع الأزمة، بوصفها تعمل على تشييء الشعوب وتمزيق الأصوات المعارضة عامة والحركات النخبوية خاصة، وصنع الاغتراب في مشاعرها، لكي تفقد الشعوب الأمل؛ أمل الخلاص من الفساد أو الواقع المأزوم، وهذه النظرة السوداوية التشاؤمية من (جلال) تجاه الشعب في الحركات التظاهرية، ناتجة من رحم الاغتراب السياسي، الذي فيه فقد ذاتيته ومشاعره الاجتماعية

[٢٩] رواية الكذابون يحصلون على كل شيء، علي بدر، ص١٤٢-١٤٣.

والسياسية، في مجتمع مفكك مهدوم بسبب العلاقة السيئة بين السلطة والشعب أو المجتمع، فتجعل منه السلطة فرداً مغترباً ومتشيئاً ومسلوب الإرادة سياسياً واجتماعياً [٣٠].

عبرت هذه الرواية بلغتها الساخرة، عن قضية سياسية متعلقة بالمجتمعات العربية عامة والمجتمع العراقي خاصة، وكانت الشخصيات الرئيسة في الروايات السياسية إشكالية وهامشيّة، وتجتهد من أجل تحقيق غايتها، ونُصرة خلفيتها الأيديولوجية، ورؤيتها السياسية أحياناً، وقد تواجه واقعاً اجتماعياً يعرقل طريقها بوصفه واقعاً هشّاً وفاضياً من المدلولات المسانِدة من معنى راقٍ معبرٍ عن وعي سياسي جماعي، يرافقه في تغيير المسارات السلطوية الحاكمة أحياناً أخرى[٣١]. وكان الفاعل الرئيسي الذي هو (الراوي جلال) إشكالياً ومغترِباً، فبدل أن يقوم بوظيفته الإقناعية حيال طروحاته السياسية، وسرد الأحداث في صورها البانورامية، ينظر إلى الواقع السياسي في المجتمع بنظرة خائبة مأزومة، بوصفها نظرة متعلقة بالمرجعية النخبوية القليلة، وتدنِّي الوعي الجمعي وتشيُئه أيضاً. ربما تعود هذه الإشكالية إلى طبيعة المشهد السردي في الرواية، حيث انغمس فيها الفاعل (جلال – نخبة) والعامل (المجتمع) في مظاهرهما وخصائصهما التشكيلية للخطاب السردي، وإخلائهما من قِبَلِ الروائي من غاياتهما النفسية والإدراكية[٣٢]. ويرى هابرماس أن هذه الأشكال المعارضة للسلطة كانت على شكل باكيجات متفاوتة ومُتَكَوِّمة و"في الحلبة الأولى تأتي النخب السياسية، وهي تكاد لا تعرف، بقراراتها ضمن جهاز الدولة، وتحت هذه الحلبة حلبة ثانية يؤثر فيها عدد كبير من المجموعات المجهولة والعاملين الجماعيين، بعضهم في بعض، ويدخلون في تحالفات، وفي الأسفل حلبة ثالثة، تحدد فيها تيارات تواصلية، من الصعب القبض عليها، شكل الثقافة السياسية، وهي تتنافس فيما بينها بواسطة تحديداتها للواقع، حول ما سماه غرامشي؛ هيمنة حضارية. هنا تتم التحولات في نزعة روح العصر، وليس من السهل تحديد التفاعل الذي يجري بين هذه الحلبات"[٣٣]. وكانت النخبة الواعية المساندة للهموم العامة ضئيلة، والغلبة في الشارع كانت للطبقة الرثة الفقيرة المحصورة والمهمشة، كما كان الحال للنخبة المثقفة بثقافة عصر التنوير. إذاً فالمجال العام منضبط من قبل السلطة، ولا يخاف من الطبقة البروليتارية التي هيمنت فيه، لأنها طبقة غير قادرة على صنع التغييرات أصلاً، وهي طبقة مسلوبة، وفارغة من كل شيء، وتشيأت من قبل الجهات الحاكمة. قد يكون هناك تواصلٌ مشوهٌ يؤدي إلى التشيؤ الاغترابي، وهذا تواصلٌ غير معقول بين الفواعل في المجال العام، ويفهم ذلك أثناء النظرة الجدية للمصلحة العامة، وقد يحدث

[٣٠] الاغتراب وبعض المتغيرات الشخصية – دراسة مقارنة، إعداد: د.رشا صالح دمنهوري، ص١١.

[٣١] الرواية السياسية، الدكتور طه وادي، ص٧.

[٣٢] التشيؤ والأشياء في التجريب السردي الجزائري – المفهوم والتشكيل، مداني علي، ص١٩.

[٣٣] الحداثة وخطابها السياسي، يورغن هابر ماس، ص١١٥.

تناقضٌ بين الفئات المختلفة في المجتمعات البرجوازية، ويأتي التعامل مع هذه الحالات المتناقضة من خلال تصحيح المسار نحو تواصل غير مشوه بين الفواعل المكونة للمجتمع، لتأسيس المبادىء المشتركة لمعرفة المصلحة العامة والفعل الجمعي المستجاب لخطاب منعطف للرغبة العامة في المجال العام، وللسيطرة على التشيؤ والاغتراب، وكانت التحولات والتغييرات مستمدةً من فعل تواصلي حقيقي، بين العوامل والفواعل الجماعية والنخبوية، لإزاحة التشيؤ الاغترابي أولاً، وبلورة مشروع تفاؤلي شامل مستجاب للواقع[٣٤].

وإذا انتقلنا إلى روايات بختيار علي، وجدنا أن التعامل مع هذه الظاهرة العصرية التي ولدت من رحم الرأسمالية المتوحشة، مصحوب بحس عجائبي غرائبي، فهناك الاهتمام نفسه بالموضوع، مثلما كان الأمر لدى علي بدر، لكنّ بختيار على يغاير الواقع الحياتي المألوف في عرضه للموضوع، ليقدّمه في منظور (الواقعية السحرية)[٣٥]، وليست الواقعية الطبيعية أو البحتة: "**حينما رجع البروفيسور، نظر إلى عيني، فَهِمَ أنني أبحث عن شيء، لغطاء توتري وعدم استقراري.. وضع يده فوق كتفي مباشرة، وقال: "أرجو أن لا يخيفك دانيال، إنها قصة في الأخير، مكتبتي كانت مليئة بآلاف القصص، أنا بوصفي مؤرخاً علمتُ أن أقوم بالمزج بين القصة والحقيقة، وهذا هو المرض القاتل للمؤرخين وسرطانهم، يخلطون بين القصة والحقيقة دائماً، وبمقدورك أن لا تكون هكذا... ولكن هذا ليس بمعنى أن شخصية دانيال لا وجود لها، الإنسان ليس مخلوقاً ذكياً إذا لم ير الحقيقة، لا يستطيع أن يصنع الأسطورة". هذه المرة ضحك بصوت مرتفع، وأنا كنت متردداً، سيء الظن، لست في حالة مريحة أيضاً، وضحكته آذتني، وقد أدرك بهذا مبكراً، وقال: " انظر أقول لك حقيقة؛ كنت اعتقد أن الناس في ديلاوَر، قبل مجيء دانيال، قد حلموا أيضاً، ولكنهم انتظروا مجيء دانيال مئات السنين؛ لكي يأتي ويقول لهم: أنتم تحلمون. بلادنا هكذا، إن الناس لا يرون الأشياء البسيطة جداً أمام أنفهم، مئات السنين**

---

[٣٤] النظرية النقدية – مقدمة قصيرة جدا، ستيفن إريك برونر، ت: سارة عادل، ص٥٠.

[٣٥] الواقعية السحرية: تقنية روائية غلبت على كثيرٍ من الأعمال الروائية في الأدب الألماني منذ مطلع الخمسينيات وأدب أمريكا اللاتينية بعد ذلك، ثم وجدت طريقها إلى بعض الأعمال في آداب اللغات الأخرى، وتقوم هذه الواقعية على أساس مزج عناصر متقابلة في سياق العمل الأدبي، فتختلط الأوهام والمحاولات والتصورات الغريبة بسياق السرد الذي يظل محتفظاً بنبرة حيادية موضوعية كتلك التي تميز التقرير الواقعي. و توظف هذه التقنية عناصر فنتازية، وتستمد هذه العناصر من الخرافات والحكايات الشعبية والأساطير وعالم الأحلام والكوابيس، وفي حكايات ألف ليلة وليلة توظيف فطري للواقعية السحرية، مثل ما نجده في قصص الجان، والبساط السحري، ومصباح علاءالدين.. إلخ. معجم مصطلحات الأدب، الإشراف العام: أ.فاروق شوشة وآخرون، التحرير والمراجعة اللغوية: سميرة صادق شعلان: ١٧٨-١٧٧.

هم مضطهدون، مع ذلك، وفي النهاية يجب أن يأتي أحد حتى يقول لهم بأنكم تضطهدون...)[٣٦].

حضر المجال العام في النص عبر الفاعل الذي يمثل دورين وهما البروفيسور في الجامعة، والمصلح الاجتماعي، وهذا ما سوّع تحويل مسار السرد من الواقع البحت، إلى واقعية غرائبية متعلقة بـ(دانيال)، ذلك الفاعل الذي يمثل عدّة أدوار وفق نظرة الآخرين له، وجاء الحديث عن هؤلاء الآخرين بـ(الناس) الذي هو لفظ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجال العام وقد ربط تحت هذا المجال الاجتماعي الماضي بالحاضر والمستقبل، وأصبحت المديات الثلاثة وحدة واحدة، لا يمكن فصل إحداها عن الآخرى.

يسرد الراوي في هذا المشهد الحواري السردي؛ الواقع الاجتماعي والسياسي الموهوم، من خلال رسم حركات متطرفة عنيفة في تصرفاتهم تجاه الناس، وتحمل الرواية ضمنياً قصة داعش في قمع الناس وترهيبهم باسم الدين، وكذلك فِعْلُ تكفيرهم وقتلهم. وقد مثلت مدينة ديلاور تمثيلاً مكانياً لرصد هذه الأعمال البشعة ضد المجتمع، قتلهم وذبحهم، وكانت ديلاور مركزاً لنشر الوهم والخوف وعدم الاستقرار، وتتجلى هذه الأوهام والمخاوف في حكم الفاعل (دانيال) والعامل (السحاب)، وبعد عودة الفاعل (البروفيسور – بهنام) إلى العامل (الراوي) يدرك ملامح التوتر والخوف في وجهه، ومن جهة أخرى كان (الراوي) في دوره الفاعلي المشارك البؤري الذي يسرد الأحداث من وجهة نظره داخل الرواية، وله علم بالأحداث على قدر الفواعل الأخرى، وهو فاعل مغترب مسلوب الإرادة من قبل السلطة القمعية الصانعة للأوهام في ذهن الشعب الديلاوري، ونجد هنا أن العامل (ديلاور) كان مضحياً، ويمثل الفاعل (دانيال) وجهاً آخر من أوجه التضحية[٣٧].

وترتبت على هذه الأزمة السياسية أزمات أخرى نفسية واجتماعية، أثرت في الوعي الجمعي لدى الشعب، ووصف البروفيسور (الفاعل – بهنام)؛ الاستلاب الجمعي في مدينة ديلاور أثناء مخاطبته للعامل (الراوي)، المصاب بالتردد وسوء الظن، حيث يحلم الناس في ديلاور، ولكنهم مسلوبو الإرادة أصلاً خوفاً من الموت الحتمي، فهم مضطهدون في جميع الأحوال، وينتظرون منقذاً (مخلصاً) ليخبرهم بحالهم ويوعيهم، ويكشف لهم حالهم بأن حقيقتهم تكمن في الوهم، في حين أنهم كانوا يحلمون قبل مجيء دانيال. كان المجتمع الديلاوري والبروفيسور بهنام يمثلان الضمير التعس للواقع المنفلت والمجتمع المتشتت المتوتر في تحقيق رغباته، مجتمع غارق في الصراعات والمشاكل التي تسهم في أن ينشأ فيه التشيؤ والاغتراب،

[٣٦] رواية هەورەكانى دانيال، بختيار علي، ص٢٥٦.

[٣٧] مبادىء تحليل النصوص الأدبية، د.بسام بركة وآخرون، ص٩٨.

وأصبحت ديلاور بؤرةً للإرهاب والقتل الإقصائي الذي انعكس في الإرادة الجمعية الملحة لفعل الإقصاء تجاه العامل (دانيال) من جهة؛ وتجاه أي فرد يفكر ويعمل خلافاً للظروف المفروضة فيها، والسلطة تنظر إلى المجتمع نظرة دونية وتأديبية[٣٨]. وهكذا نجد مجتمعاً متشيئاً في ظل نخبة متأزمة مهيمنة، والتي تمثل لسان السلطة أحياناً، ومصلحاً ناجياً للمجتمع أحياناً أخرى. وينبع الضمير في تلك الحالة من الأفعال الأخلاقية في فعل أية جريمة ما، سواء أكانت صادرةً من إرادة حرة أم من إرادة مسلوبة[٣٩]. إن للموت في ضمير (غيوم دانيال) سلطةً مطلقةً، والإنسان الديلاوري يتخذ من الموت حاجاته لإشباعه عدم الإنسانية البشعة، سواء أكان ذلك في الحلم أم الواقع، وهم مصابون بداء نفسي متأثر بتلك الأوضاع الاجتماعية والسياسية فيها [٤٠]. ويرى الدكتور علي الوردي أن "الأحلام تفصح عن طبيعة الإنسان، وتكشف عن رغبته الخفية" [٤١]. وهكذا نجد أن مدينة ديلاور صارت بؤرةً للاغتراب الاجتماعي والسياسي. وقد وصف هابرماس هذه الحالة بالعقلانية الغائية المشوهة، التي تعتمد عليها الفواعل المنجزة في أي فعل خاطيء؛ الفواعل المنعزلة الذين يمشون ويتصرفون وفق مشاعرهم والأفكار المنصبة للعقل الأداتي[٤٢]. يشبه واقع المجتمع الكوردي بواقع المجتمع العراقي في الاعتماد على النخبة الصغيرة المأزومة والمستغلة كما نجد في كلتا الروايتين؛ لتحقيق العدالة والحرية وقضية الخلاص من المعاناة والمآسي، والربط بين المخلص المزيف، وقلة الوعي الجمعي بمعرفة واقعهم السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، واستغلال المجال العام، وبعض الشعارات البراقة من قبل نخبة ثقافية وسياسية مزيفة، ووجه الاختلاف بينهما هو أن المخلِّص في رواية الكذابون يحصلون على كل شيء، هو الشعب نفسه، معتمداً على الوعي الشعبي الجمعي بالحرية والمساواة والعدل، ولكن في رواية غيوم دانيال يرصد قوة المخلص في الفاعل ديلاور المنتَظَر من قبل الشعب، وتتشابه الروايتان في أن قلة الوعي الشعبي بغاياته ومطالبه علّة من علل التشاؤم والتشيؤ، وتختلفان في أن الوعي الجمعي في رواية الكذابون يحصلون على كل شيء هو بؤرة التشاؤم والتشيؤء، أما في رواية غيوم دانيال كان الوهم الجمعي هو بؤرة التشاؤم والتشيؤ، وكذلك نجد التمايز في صورة المخلص بين الروايتين، حيث إن المخلِّص له صوت منخفض، يتمثل كتلة صغيرة في رواية الكذابون يحصلون على كل شيء، وتتعرض هذه الكتلة الصغيرة الواعية على حد قول الفاعل

[٣٨] الإنسان ذو البعد الواحد، هربرت ماركوز، ت: جورج ترابيشي، ص٩٧.

[٣٩] ماهية الوعي الفلسفي، علي محمد إسبر، ص١٠٧.

[٤٠] مێژووی خۆبەرهەمهێنانەوە – خوێندنەوەی سێ ڕۆمانی بەختیار عەلی، ئومێد حەمە عەلی، ص٥٣.

[٤١] الأحلام بين علم والعقيدة، د.علي الوردي، ص٩٨.

[٤٢] القول الفلسفي للحداثة، يورغن هابرماس، ت: د.فاطمة الجيوشي، ص٤٨٢.

جلال إلى التشاؤم والاغتراب، بينما في غيوم دانيال يتمثل صورة المخلِّص في ديلاور، الذي يفسر أحلام المجتمع، لذلك يتعرض حياته للخطر والاغتراب.

يشبه المجال العام في رواية الكافرة لعلي بدر المجال العام في رواية غيوم دانيال لبختيار علي، ولكن الخطاب الروائي في رواية الكافرة كان خطاباً صريحاً في طرح الأوضاع السيئة والعقلية التشيئية من قبل حركة داعش الإرهابية: "**هذا الذي يريد أن يموت غداً، لديه أمل واحد هو أنه سيجد سبعين امرأة عذراء على باب الفردوس... خرج زوجي ولم يعد. بعد يومين كنت اسْتُدْعِيتُ إلى مقر المسلحين لأمر عاجل. عرفت حينها أنه مات. جلست حينذاك مسندة ظهري على الحائط وانتظرتهم ليتلوا الخبر علي. كان المسلحون يدخلون الفناء ويخرجون دون توقف. كانوا فرحين أن زوجي قام بعملية انتحارية.**

- **" انتحر زوجك في السوق، قتل الكافرين هناك".**

كان أغلب المقتولين هم من الباعة المتجولين بأسمالهم المثقلة مثل الحمير. الباعة الذين كانوا يضعون حزم بضائعهم تحت القناطر. قتل باعة خضار، باعة تمور، وشبانا ينقلون حمولات غريبة تتوازن فوق دراجاتهم الهوائية: علب ألعاب بلاستيكية، شرائط موسيقى، ساعات، نظارات سوداء. كنت أعرف أكثرهم ممن كانوا يبسطون سلعهم على الأرض ونشتري منهم أقلام حبر، قوالب صابون. ... كنت أريد أن أصرخ في وجوههم: لقد مللت رؤية الرعب في عيون الآخرين، تعبت من دخول المزبلة البشرية تحت أقواس النصر والرايات. لقد سئمت من رؤية الرجال يهربون، والنساء الحوامل يجهضن، والصغار يبكون إلا أني خفت. لقد كانوا يمجدون الجريمة والعنف، كانوا مهووسين بالسيطرة والانتصار. وتحول كل فرد صغير من هذه القرية إلى طاغية. بالقوة والسلطة كسبوا خضوع الناس، والكل كان يشتري بالكلمات اللازمة مصيره"[٤٣].

سلط النص الضوء على المجال العام هنا من زاوية مغايرة، ومن خلال فاعل أنثى تمثّل عدّة أدوار، منها الأمومة، والزوجة، والإنسانة، والمهتمة بقضايا المجتع والعدالة، المجال العام المقدّم في المشهد مدمّر، ومليء بفاعلين معرقلين المتمثلين بمقاتلي داعش الذين دفعوا بزوجها للقيام بعملية الانتحار وسط مجال عام مكوّن من أناس أبرياء.

هنا نجد بشاعة الحركات الإرهابية، التي تخدع الناس بوعود واهية، وتقلل من شأن الإنسان، وتصنع مدينة مليئة بالرعب والخوف، ويجعل من القتل، تشييء الروح الإنسانية، وتحريف معالم

[٤٣] رواية الكافرة، علي بدر، ص١٢٧،١٢٦.

دين الإسلام الحنيف، أمراً مألوفاً عادياً. وكان الفاعلون في هذه البيئة النتنة يشتغلون وراء شعارات دينية، ويستغلونها من أجل شرعنة بشاعتهم. تقوم الزوجة بدورها الإنساني، لكنها تجد نفسها ضائعة وتائهة في هذا المجال العام المليء بالكراهية، مجال اصطنعه واقع جديد، على يد فاعلين لا يستطيعون الخروج عن الدور المرسوم لهم. ثم يقوم السرد الروائي إلى مشهد ما قبل الانتحار عندما طلبت (الزوجة فاطمة) من زوجها عدم الاستمرار في ارتكاب الجرائم باسم الدين، ويظهر من سردها المسترجع أنّ الزوج – كمفارقة واقعية وفنية – لم يكن ملتزماً بالدين، ولم يكن يؤدي فرائضه، بل كان شخصاً فاشلاً ميئوساً منهزماً: "**صمت لحظات أمامه كما لو كنت ساهمة. كنت أعرفه، لم يكن متحمساً في حياته لشيء. لم يكن متديناً أبداً، كان يائساً. فجأة شعرت بحزن وإشفاق عليه. إلا أنه لم يكن مبالياً، .. شعرت بأن علي أن أصرخ، أن أبكي، أن أتوسل به ألّا يذهب، أن أقول له أرجوك لا تذهب لا نريد المال. وقد انهمرت الدموع من عيني بالفعل. لقد انفجرت في البكاء، رغبت في مساعدته، لقد أحسست تلك اللحظة بنوع من الدفء الحميم في جسدي نحوه**".

تظهر الرواية، أو أنساقها المضمرة، أنّ الجماعة الإرهابية كانت واعية بأهمية السوق بوصفه عنصراً حيّا من عناصر المجال العام، لهذا خطّط للتفجير في جميع المدن التي استطاعت أن تصل إليها، هي كانت متيقنة أنّ تدمير هذا المجال، سيؤدي حتماً إلى بثّ الخوف في قلوب الناس، وإخضاعهم، وتسهل عملية تحويلهم إلى كائنات مغتربة مستلبة الإرادة. فأصبح الواقع المعيش واقعاً مليئاً بالفوضى، يفرغ الإنسان من إنسانيته، ولا سيما المقاتلين المغرورين في صفوف الجماعة، وتحوّلت المرأة بفعل سياسيات هذه الجماعة إلى مجرد سلعة تباع وتشترى، وتبقى هكذا في العالم المتدنّي، لأنّ الزوجة عندما تهرب من الجماعة، وتستقر في أوروبا، تجد نفسها تحت وطأة أفكار زوجها، فلم تستطع التخلص من تبعات تصرفاته وتفكيره المتزمت: "**الشيء الأول الذي قررت تغييره هو اسمي، لم أعد فاطمة العربية إنما صوفي البلجيكية..، ... حين قال لي زوجي قبل موته: إن سبعين حورية بانتظاره في الفردوس، شعرت بإذلال كبير. وحين وصلت هنا إلى أوروبا قررت أن أنام مع سبعين رجلاً، أجرهم جراً إلى فراشي**"[٤٤]. فلم يأت هذا التحول السلبي عن وعي وإدراك سليم ومصيب، لأن التحول القائم على أسس إعمال الفكر وعن وعي مدرك، يؤثر في التشكيل البنيوي الذاتي للإنسان وفي منظومته الفكرية والثقافية، ويمكن لهذا التحول الإيجابي أن يكون له أثر بالغ في تحول المجتمع من الخمولية والانفعال الدنيء التشاجري إلى مجتمع واعٍ ومثقف، إذ إن للطبيعة التواصلية المشوهة للمجتمعات عموماً والمجتمع البرجوازي خصوصاً أثراً بالغاً في تغيير رؤية الذات واتساعها من رؤية سكونية

[٤٤] رواية الكافرة، علي بدر، ١٩١.

تشيئية إلى رؤية واعية دينامية مستجيبة للتصحيح وصلاح المجال العام[٤٥]. والموت هو نقطة التلاقي بين الروايتين؛ في تقديم صورة المجتمع عامةً والإنسان تحديداً، من خلال نظرة دونيةٍ سوداويةٍ تشييئيةٍ مغتربةٍ، وهذه النزعه المهيمنة أدت إلى الاغتراب الجماعي والأداتي، كما نجد التلاقي بينهما في قضية الثأر، إذ إن المجتمع الديلاوري قرر بالثأر من الفاعل دانيال، والفاعل فاطمة في روايه الكافرة قررت بدورها أيضاً أن تقوم بالثأر من زوجها بتحويل هويتها ونزوحها، ولكن الاختلاف يكون في صورة المضحي المخلص، حيث إن فاطمة أرادت أن توضح لزوجها بأن ما يريد أن يفعل؛ لا يعبر عن الإسلام ولا الإنسانية، وهنا تحولت من مخلِصة إلى مضحية ومنتقمة منه في آن واحد، أما في غيوم دانيال كان دانيال مخلِصاً مضحياً، والشعب الديلاوري المصاب بالوهم هو الذي قرر التأثر منه، على الرغم من أنه أعلمهم بحالهم، ووجه اختلاف دانيال مع فاطمة هو أنه لم يقرر مثلها تحويل هويته والثأر من المجتمع الديلاوري، ولكنهما متشابهان في الخلاص والتضحية، والإصابة بالتشيؤ والاغتراب.

ويأتي توظيف الأسماء لعرض اغتراب الشخصيات وبيان شعورهم بالتهميش، نقطة مشتركة بين علي بدر كما رأينا في النص السابق، وبختيار علي، كما نراه في هذا النص على سبيل المثال لا الحصر: "**وبعد عودتي، ما خرجت يومين، أحيانا تظهر في روح هذه الرغبة الشيطانية، كي أجلس في مكاني ولا أتوجه إلى مكان آخر، هذه العلة آفة قديمة، كانت معي في مدينة الأغبرة، وكثيراً ما أردت أن أجلس في غرفتي لمدة طويلة ولا أخرج، من الواضح أن البعض يقولون الآن، إن كان أحد يمتلك رغبة كهذه، كيف يمكن له أن يسمي نفسه نازحاً؟.. حقيقة ليس النزوح بمعنى أن لا يكون لك بيت أحياناً، بل هو أن لا تعرف إلى أين تذهب، وتنظر من نافذة الشباك، وتحس بأنك ينبغي أن تكون في مكان آخر، فهذا هو النزوح الحقيقي، لم يكن لديَ صديق، ما عرفت شخصاً لكي يفتح لي باب بيته، ما شهدتُ جمالاً يقربني من الأماكن، في اليوم الثالث، وبعد ظهر ساخن، كنت نائماً في مكاني، شخص حركني بيدٍ هادئةٍ من كتفي وقال: " انهض يا جلادة.. جلادة..". حينما فتحتُ عيني، رأيت محمد الفردوسي وجليل المطري، .. لا أخفيكم سرّاً بأنني نمتُ ليالي كثيرة وكنت جائعا، لكن قبل الحديث عن هذا العمل، أريد أن أتحدث لكم عن هذا المساء الذي كنت مع محمد الفردوسي وجليل المطري، كان السبب الرئيسي وراء زيارة محمد الفردوسي وجليل المطري ليس إعطاء بشارة عمل لي فقط، لكن هي محاولة التقرب والتعرف والتفحص لقعري أنا، كان سؤالهما الكبير: هل أنا جلادة الحمامة أم لا؟..**"[٤٦].

[٤٥] مجتمع الأفراد، نوربرت إلياس، ت: هاني صالح، ص٥٠.

[٤٦] رواية شارى مؤسيقاره سپيەكان، بختيار علي، ص٥٤٨-٥٤٩.

إن الفاعل جلادة الحمامة؛ علامة من علامات النص السردي المعبرة عن معاناة الكورد عامة، وهو رمز للتضحية، تضحية شعب مقهور مغترب. إذ إن اسمه مكون من جزأين، جلادة، الحمامة، وهنا (جلادة) دالة على صلابة الذات الكوردية في مواجهة سياط الظلم. أما (الحمامة) فهي رمز للسلام والأمان، وكانت هذه السلطة تنظر إلى الذات الكوردية نظرة دونية شيئية، هذا النزوح عند الفاعل جلادة الحمامة ليس مجرد انتقال من مكان إلى آخر، وإنما هو رمز أُريد به الإشارة إلى ضحايا عملية الأنفال بيد النظام البائد. فضلاً عن (جلادة حمامة) هناك فاعل آخر يمثل عدّة أدوار وهو (إسحاق ذو الشفاه الذهبية – ئيسحاقى لێو زێرين) و(سرهنك قاسم)، وهما معاً يمثلان الحالة السيئة والمغتربة المتشيئة للشعب الكوردي عامة، لذلك يرى أن النزوح هنا يعادل التضحية والهيئة التشيئية العلاماتية في المجال العام السياسي العراقي والكوردستاني[٤٧]. ووجدنا حضور الموت والخلاص والتضحية في أشكالها المغايرة وكذلك النزوح والهجرة في رواية الكافرة لعلي بدر، وعند التعمق في روايات بختيار علي سيتضح للقارئ أنّ ذكر الموت والإبادة والنزوح يستند عنده إلى خلفية فكرية، فهو يرى أنّ ذكر الموت وتحويله إلى مادة سردية عند الفواعل يعود في الأساس إلى الحضور الدائم للموت في واقع حياة المجتمع الكوردي الحديث، منذ أن قُسِمَتْ أرضه من قبل الاستعمار بين أربع دول، وحرم من دولته القومية المستقلة، كغيرها من شعوب المنطقة. فضلاً عن ذلك تتضمن الرواية والخطاب السردي المنقول هنا، انتقاداً واعياً ضدّ من عدّوا أنفسهم ثواراً أمس.

وتحتوي رواية (الركض وراء الذئاب) على هذا الاتجاه التواصلي المشوه بين الثوريين أنفسهم، وقد يشعرون بالاغتراب والإرادة المسلوبة كفاعليين اجتماعيين قبل أن يكونوا سياسيين، نتيجة انحراف مجرى الثورة وفقدان المصداقية في ممارساتهم اليومية، وهذا ما نتلمسه على لسان الفاعل جبر سالم: "**لقد خدعوني. لم أكن أعرف أن أفريقيا كلها زبالة، الثورة هراء، لا وجود للثورة ولا للثوار ولا أي شيء من هذه التفاهات. لا بل أقول لك: الثورة ماخور مظلم دخلنا فيه ولم نعرف كيف نخرج منه، وإن هؤلاء الذين تسميهم ثواراً لم يكونوا غير قوادين وعاهرات. لا تقل لي لا. أقول لك لم يعد على الأرض ثوار ولا قنادير في أديس أبابا. صرخت بوجههم يا كلاب وهربت. كادوا أن يقتلوني بسكينهم، قالوا أنت عميل جئت كي تتجسس علينا، هل هذا الكلام معقول، بعد كل الذي عملته من أجلهم يتهموني بأني جاسوس قذر جئت لأنقل المعلومات عنهم، هل هذا الكلام معقول؟.. يتهموني هذه التهم القذرة بعد أن ضحيت من أجلهم، بعد أن تركت حياتي خلفي وتركت كل شيء من أجل مساندتهم في حرب التحرير. هل هذا الكلام معقول؟!.. طبعاً اليوم اكتشفت أن كل شيء باطل، كل ما قالوه وكتبوه هو كذب**

[٤٧] گەشتێک بە ڕۆحی شاری مۆسیقارە سپیەکاندا، هەورامان ئەنوەر، ص٩٣.

وخداع. حتى ما كتبته أنا ليس له أي حقيقة. واكتشفت بأني أحمق حين جئت إلى هذا المكان النتن. كنت أحمقاً حين جئت إلى أديس أبابا"[٤٨].

إن الفاعل (جبر سالم) يصف الثورة بأنها ليست ثورة بل شيء تافه، وقد خدعت، فهنا تتجلى مظاهر التواصل المشوه بينهم، وتشييء الفهم المشترك، إذ إن الغاية في خطاب هذه الرواية هي تقصي المعلومات حول جماعة الثوار اليساريين العراقيين الذين ذهبوا إلى أفريقيا – مدينة أديس أبابا تحديداً، وكان البطل هو فاعل اسمه المستعار (جورج باركر) العراقي الأصل الذي له جنسية أمريكية يذهب برحلة وراء هؤلاء الثوار لتقصي أحوال الثورة ومعرفة مصيرها، وهنا تكشف الرواية عن قضية الصراع بين فواعلها، فيبرز التناقض بين الخلفية البرجوازية للفواعل والبرجوازية كظاهرة طبقية بين الفواعل أيضاً، لذلك يفكك الفضاء العام بسبب هذا التواصل المشوه بين الفاعلين (الثوار) من جهة، والشعارات المتعلقة بهذه البيئة البرجوازية مثل الحرية، العدالة والقضايا المتعلقة بالإنسانية للذوات أو الذات الجمعية من جهة أخرى، ويركز على العقل لمعالجة هذه النظرة الأداتية الرأسمالية المتمركزة على المصلحة الذاتية الفردية التشيئية. ومن خلال التركيز على الوحدة بين المصلحة والعقل ينتج الإنجاز المعرفي النقدي للعقل؛ لإدراك المكونات الذاتية للنوع الإنساني، مثل سطوة الطبيب على المريض، لأن باثولوجيا المؤسسات الاجتماعية مثل ما كان باثولوجيا الوعي الفردي تستوطن في وسط اللغة والفعل التواصلي، وبذلك تأخذ تشوهاً بنيوياً للتواصل، وهنا تقابل المصلحة الفردية المصلحة الجماعية، فتشوه هذا الصراع بين ذات برجوازي كبرجوازي، وبرجوازي كإنسان، وتشوه المجال العام، كما وجدنا ذلك في مدينة ديلاور في رواية غيوم دانيال لبختيار علي، ولإنهاء هذا الانصدام والتشويه، يجب أن تتواصل مصلحة العقل مع مصلحة حفظ الذات عامة، لأن الإنسان بطبيعته يستوطن في كيان جماعي ومؤسسات اجتماعية أيضا[٤٩]. وعلى الرغم من هذه الانصدامات التشيئية في المجتمعات البرجوازية، فإن أنصار النزعة البرجوازية من أمثال الفيلسوف الإنجليزي (توماس هوبز) في فلسفته السياسية يرون "أن الدولة البرجوازية الجديدة هي من حيث جوهرها ضمانة للخير العام، وإنها تشكل أفضل تأمين على حياة مواطنيها كما أنها في ذلك العصر تمثل التقدم والعدالة مباشرة"[٥٠].

[٤٨] رواية الركض وراء الذئاب، علي بدر، ص ١١٣.

[٤٩] المعرفة والمصلحة، يورجن هابرماس، ت: حسن صقر، ص٢٦٧.

[٥٠] بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية، ماكس هوركهايمر، ت: محمد علي اليوسفي، ص٧٣.

إن الفاعل (جورج باكر) الصحافي بوصفه عاملاً مساعداً للوكالة الصحافية الأجنبية في نيويورك، يلجأ إلى الفاعل الثوري (لاليت) الأفريقية بوصفه عاملاً مساعداً للعثور على الثوار، فتكون حلقة وصل بينه وبين العامل الثوري (جبر سالم) المساعد للبحث عن مصير الثورة والفواعل اليسارية من الشيوعيين، إذ إنه يصف له واقع الأحداث، وأدرك بأنه مخدوع من قبل الثوار، وكناشط واع في المجال العام، ينتقدهم، ويسعى جاهداً إلى تقديم صورتهم الحقيقة للناس، ولأنّهم وحيدون في مسعاهم، لهذا يشعر باغتراب سياسي وذاتي عميق، فكل ما كتبوه من تقارير حول الثورة كذب وخداع، ليقول لنا إن الثورات في المجتمعات الشرقية مزيفة، وهي وسيلة لتشييء المجتمع لتحقيق الرغبات الذاتية.

ولو نظرنا إلى رواية قصر الطيور الحزينة لبختيار علي، فنجد قضية التواصل المشوه المؤدي إلى التشيؤ والاغتراب بين الفواعل المنتمية إلى الواقع الاجتماعي السياسي الكوردي قد أصبح حديثاً طاغياً على لسان الفواعل السردية والراوي المستقل والرواة المشاركين، وكانت الثورة أنتجت انتفاضة شعبية في ١٩٩١، وبعد فترة حدث الاقتتال الداخلي بين فاعلين أساسيين للثورة المساندين للانتفاضة، لاختلاف توجه كل منهما حول آلية السلطة والمصلحة الخاصة بهم، وهذا التواصل المشوه أدى إلى تمزيق الشعب عامة والفرد الكوردي خاصة، وتسبب الاقتتال الداخلي في تدني الوضع المعيشي والانفلات الأمني العام والمصلحة المشتركة، وشوهت المجال العام بشكل أو بآخر، إذ نجد في موضع سردي من الرواية وصفاً للأوضاع الممزقة في سرد الأحداث الواقعة داخل قصر الفواعل والعوامل المشاركة في الثورة والانتفاضة، وذلك على لسان الراوي: "**مع انطلاق معارك "حرب الأخوة" بين الحزبين سنة ١٩٩٤، لم يكن قد تبقى في منزل فِكْرَتْ گولدانچى شيء من مكتبته ولا تحفه الثمينة؛ فخلال السنتين المنصرمتين كان فيصل نجيب قد نقل المكتبة إلى دفعات ولم يكتف بذلك بل اشترى منه كذلك جميع التماثيل وقطع الديكور الملونة واللوحات الثمينة والمفارش الحريرية. وكما جرى الاتفاق بين الرجلين كان على فيصل أن يقوم بنقل مشترياته على مدى سنتين وبفاصل ثلاثة أشهر بين كل دفعتين. كان الأب يريد من ذلك التدرج والتكتم ألا تفاجأ ابنته على حين غرة بانطفاء الشمس التي كانت تنير عالمها. تمت العملية بهدوء وحذر شديدين بحيث يتوزع الألم زمنيا وتكون المعاناة أخف وطأة. كان لابد من القيام بذلك من أجل تحرير الفتاة من تلك الزنزانة الأبدية التي سجنت نفسها فيها والعودة بها إلى الحياة الطبيعية.. في تلك الليالي التي كان فيها فيصل صحاف يرزم الكتب، كان صمت عميق وقاتل يبسط جناحيه على منزل آل گولدانچى، صمت يجعل من الظلة في داخله أثقل وأكثف، صمت يشعر المرء أنه ناتج عن خرس روحي عميق، صمت لا يجدي معه صراخ ولا استغاثة، صمت نابع من روح الإنسان ومتبرعم فيه.. سوسن تعلم أن هدف والدها من التخلص من المكتبة هو إخراجها من حالة الصمت، ذلك الصمت الذي**

كان أنيس فكرت نفسه طيلة حياته. ذلك الصمت الذي كان قد جعل من الكتب والأطالس والصور جدراناً عاليةً تحيط بها من كل جانب، ذلك الصمت الذي كان الفقر والعزلة والحرب والانتظار يزيد من وطأته. مع فقدان كل جزء من المكتبة كانت سوسن تشعر بانهيار جدار من حياتها وأنها يوماً بعد يوم تزداد عرياً وضعفاً وأنها في كل مرة تفقد ثوبا أو درعا يستر ويحمي بدنها في مواجهة حياتها.. وبشكل غير متوقع وذلك بعد بضع سنوات حين كان تتفرج مرة على قناة محلية في التلفزيون الذي كان يعرض برنامجاً يتضمن زيارات إلى مكتبات كبار المقفين والساسة والمسؤولين في البلاد، وكانت الكاميرا في ذلك اليوم في زيارة إلى منزل سياسي بارز، كان ذلك السياسي رجلاً قصير القامة بارز الكرش تكاد بطنه تتفلت من ثنايا حزامه، وهناك في منزله رأت سوسن جميع كتبها، جيع تلك الكتب التي كانت تراها في أحلامها، الكتب التي نشأت وترعرعت معها كانت مصفوفة كلها خلف ذلك الرجل الذي كان يتحدث عنها بحماس وكيف أنه اختارها وجمعها بنفسه كتاباً كتاباً، وأنها ثروته الحقيقية التي يفتخر بها... كانت كلها هناك، كل كتبها العزيزة، خلف ذلك الرجل المكتنز الذي يقف بفخر أمام الرفوف والتماثيل ويبتسم للكاميرا إبتسامةً كبيرةً... كبيرةً جداً"[٥١].

تحوّل عنصر فاعل من عناصر المجال العام، ألا وهو المكتبة، إلى شيء خامد، فتحوّلت إلى شيء تزييني، بعد أن كانت درّة البيت، والمحلة، والمدينة، ومن هذه النقطة يحاول الفاعل المعرقل (فيصل نجيب) الذي يمثل دوراً واحداً وهو الاستيلاء على كلّ شيء بمحاولة جادة للحصول على المكتبة وعلى كلّ شيء ثمين من بيت (فكرت كولدنجي) الذي يمثل عدّة أدوار، منها التضحية، والفقر، والتخلّي عن الممتلكات المادية والمعنوية، بسبب الظرف الصعب الذي واجه المجتمع الكوردي بعد سنة ١٩٩٤، عندما شهدت كوردستان اقتتالاً داخلياً بين الحزبين الرئيسين، فانقسم الوطن بسببه إلى قسمين، وإدارتين، وشهدت الأسر حالة غير معهودة من الضيق والغلاء مع انعدام الرواتب والخدمات، وغياب تام للدولة في جميع مرافق الحياة، فأصبح – جراء ذلك، جزءاً من المجال العام نشطاً كالأسواق والجوامع، لأنّ الاجتماع في هذين المكانين لا يكلّف الفرد شيئاً، وهو أمر يومي في مجتمع مسلم يعمل ويسعى لكسب قوته يومياً، كما بقيت المدارس والجامعات نشطة على الرغم من الظرف الصعب، وهذا ما شكلّ نوعاً من الرأي العام الضاغط لإنهاء الاقتتال وتحسين الظرف الاقتصادي والسياسي. أمّا المجالات الأخرى كالإعلام والمسارح فبقيت تؤدّي أدوارها على استحياء، لأنّ الحزبين قد استولى عليهما، ووظفتهما لخدمة رؤيتهما القاصرة في إعطاء المشروعية لهما.

[٥١] رواية قصر الطيور الحزينة، بختيار علي، ت:إبراهيم خليل: ٨٧،٢٨٦،٢٨٤،٢٨٣.

هنا في هذا السياق المقارني بين علي بدر وبختيار علي، نجد تفاوتاً في تسليط الضوء على عناصر المجال العام وحيويتها، فنحد تركيزاً على العناصر الداخلية كالمكتبه بمكوناتها عند بختيار علي، في حين نجد أن علي بدر يركزّ تركيزاً كبيراً على العناصر العامة الكبيرة. ويكمن الاختلاف في الدور الفاعلي لكل من الفاعل جورج باركر بوصفه صحافياً في رواية (الركض وراء الذئاب)، والفاعل في رواية (قصر الطيور الحزينة) بدوره راوياً، وجانب التشابه بين الفواعل في الروايتين نجده في قضية التواصل المشوّه داخل المجال العام العراقي والكوردستاني، ولا سيما ما يتعلق بفواعل ثورية وكيفية التفاعل بينهم، والتداعيات السلبية نتيجة هذا التشويه التواصلي على سمعة الثورة وانحرافها، وانتهازية هؤلاء الفواعل ونظرتهم التشييئية لعواملهم والمجال العام عامة، ووجه التباين بين الفواعل في كلتا الروايتين يظهر في سماتهم وسلوكياتهم المختلفة، والتشكيل السردي المختلف بينهم، إذ تحوّلوا بعد ذهابهم إلى أديس أبابا إلى إنتهازيين ورأسماليين في رواية الركض وراء الذئاب، أما في قصر الطيور الحزينة هيمَنَ فواعل الثوار على الحياة العامة داخل البلد، وأجبروا المثقفين الحقيقيين بأن يتركوا آلياتهم وخلفياتهم الثقافية وبيع كتبهم مثل العامل (گولّدانچى) الذي جاء من بغداد إلى كوردستان بسبب سوء معيشته، وشعوره بالاغتراب الناتج من الحرب الداخلي بين فواعل الثوار الكوردية (الأحزاب الكوردية) من أجل مصالحهم الشخصية، حيث إن السياسيين الأمّيّين أخذوا مقاليد السلطة العامة واتخذوا من الآليات الثقافية والتراث الثقافي مثل الكتب والمكتبات ديكوراً خلفهم لإخفاء حقيقتهم.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى نتائج نخلصها في النقاط الآتية:

١- الفاعل ركن أساسي من أركان التشكيل السردي، وله علاقة وثيقة بالعوامل المختلفة، والعلاقة بين السرد والذاكرة مبنية على المشاركة الفاعلة في تقديم الحكاية واستذكار القضايا العامة في المجال العام، وتقوم الذاكرة بضبط المشتركات التي ترتبط بالفواعل ضمن الأنساق المختلفة النابعة من الفعل الجمعي المتمركز في الرغبة الجمعية المتعلقة بالمصلحة العامة.

٢- يحتوي الفعل السردي في رواية أساتذة الوهم علي بدر و عمي جمشيد خان لبختيار علي بمعطيات المجال العام العربي العراقي والكوردستاني، وذلك من خلال ذاكرة يمكننا تسميتها بالذاكرة السردية مع الاختلاف في محتويات الذاكرة فيهما، إذ تركز رواية (أساتذة الوهم) إلى مأساة الحرب العراقية الإيرانية، والمصير المجهول لكثير من الشخصيات، في حين تركز رواية عمّي جمشيد خان على موضوع الاستبداد المحلي والوطني.

٣- تعتمد الذاكرة على الوعي بوصفه حافزاً أساسيا لها، والعلاقة بين الذاكرة والوعي هي علاقة عضوية، ومنضبطة وفق محفزات الذاكرة الفردية والجماعية ، وتلعلب المشاعر والأحساسيس والحلم واللاوعي على تنشيط الذاكرة في روايات الكاتبين.

٤- تتشابه روايتا شتاء العائلة لعلي بدر وبندر فيلي لبختيار علي في بيان العلاقة بين الذاكرة والمكان، وتختلفان في الزمان والمكان، وفي استحضار التفاصيل الدقيقة المرتبطة بالمكان الجزئي والمجال العام، وفي الدلالة المركزية أيضاً.

٥- تأثرت الرواية بالنزعة التشييئية والاغترابية تأثيراً بالغاً، وانعكست على طبيعة روايات الكاتبين (علي بدر وبختيار علي)، كما انعكست على الخلفية الفكرية للفواعل وكذلك في القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٦- ظهرت النزعة التشييئية المغتربة في المجال العام في روايات الكاتبين، إذ تحوّل هذا المجال الاجتماعي النشط إلى عالم جامد فاقد للحيوية.

٧-يتشابه العالم الروائي بين علي بدر وبختيار علي في تقديم صورة الموت، بوصفها دلالة مركزية على مجتمع مغترب وغامق، إذ يفقد الإنسان فاعليته وتواصله الإيجابي مع المحيط، ومن خلال نظرة اونية سوداوية – تشييئية مغتربة؛ يصبح الإنسان أداةً، ويتحوّل التواصل مع الوجود الجماعي والمجتمعي إلى تواصل مشوّه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الروايات

١- الروايات العربية:

- علي، بدر، رواية أساتذة الوهم، الرافدين – لبنان، دار ألكا- بلجيكا، ط٦، بيروت- لبنان ٢٠١٧.
- علي، بدر، رواية الركض وراء الذئاب، المؤسسة العربية والدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٧.
- علي، بدر، رواية شتاء العائلة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٢٢، المؤسسة العربية والدراسات والنشر، ط٢، بيروت ٢٠٠٧.
- علي، بدر، رواية الكافرة، الرافدين – لبنان، دار ألكا- بلجيكا، ط٣، بيروت- لبنان ٢٠١٧.
- علي، بدر، رواية الكذابون يحصلون على كل شيء، الرافدين – لبنان، دار ألكا- بلجيكا، ط١، بيروت- لبنان ٢٠١٧.

٢- الروايات الكوردية

- علي، بختيار، رواية بەندەر فەيلى، ناوەندى ڕۆشنبيريى ڕەهەند، چ١، سلێمانى ٢٠٢٢.
- بختيار، علي، رواية جەمشيد خانى مامم كەهەميشە با لەگەڵ خۆيدا دەيبرد، ناوەندى ڕۆشنبيرى وهەنەريى ئەندێشە، چ٢، سلێمانى ٢٠١٨.
- بختيار، علي، رواية شارى مۆسيقارە سپيەكان، ناوەندى غەزەلنوس بۆ چاپ وبڵاوكردنەوە، چ٥، سلێمانى ٢٠٢٠.
- علي، بختيار، كۆشكى باڵندە غەمگينەكان (رواية قصر الطيور الحزينة)، ت:إبراهيم خليل، دار الخان للنشر والتوزيع، ط١، سوريا ٢٠١٠.
- بختيار، علي، رواية هەورەكانى دانيال، ناوەندى ڕۆشنبيرى وهەنەريى ئەندێشە، چ٢، سلێمانى ٢٠١٧.

ثانيا: الكتب

١- الكتب العربية

- إسبر، علي محمد ، ماهية الوعي الفلسفي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط١، دمشق ٢٠١٠.
- أسمن، يان، الذاكرة الحضارية/ الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولي، ت: عبدالحليم عبدالغني رجب، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٣.
- إعداد: دمنهوري، د.رشا صالح، الاغتراب وبعض المتغيرات الشخصية – دراسة مقارنة،مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى ١٤١٧هـ.
- إلياس، نوربرت ، مجتمع الأفراد، ت: هاني صالح، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، سورية ٢٠١٤.
- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت ١٩٩٠.
- بركة، د.بسام، وآخرون، مبادىء تحليل النصوص الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١، القاهرة ٢٠٠٢.
- برونر، ستيفن إريك، نظرية النقدية – مقدمة قصيرة جدا، ت: سارة عادل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ٢٠١٦.
- ت: عياشي، د.منذر، العلاماتية وعلم النص، مركز الإنماء الحضاري- حلب، ودار المحبة- دمشق، ٢٠٠٩.
- حجازي، دكتور سمير سعيد ، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة ٢٠٠١.
- حماد، د.حسن محمد حسن، الاغتراب عند إريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت ١٩٩٥.

- الربيعي، د.رنا فرمان، أفعال التذكر واستراتيجيات النسيان في الرواية العراقية/ رؤى عبر أفكار/ بول ريكور- يورغن هابرماس- حنه آرندت، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، سورية- دمشق ٢٠٢٠.
- روسو، جان جاك، العقد الاجتماعي أو مبادىء الحقوق السياسية، ت: عادل زعيتر، مكتبة النافذة، ط١، القاهرة ٢٠١٢.
- ريكور، بول ، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ت: د.جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت ٢٠٠٩.
- سعيد، جلال الدين ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس.
- شارودو، باتريك ، و منغنو، دومينيك ، معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ت: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سيانترا- المركز القومي للترجمة، تونس ٢٠٠٨.
- عبدالله، د.محمد قاسم، سايكولوجية الذاكرة – قضايا واتجاهات حديثة، مطابع السياسة- الكويت، فبراير ٢٠٠٢.
- علوش، د.سعيد ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مراجعة: د.كيان أحمد حازم يحيى و د.حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٩.
- عناني، الدكتور محمد ، المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم إنجليزي وعربي، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط٣، القاهرة ٢٠٠٣.
- القصراوي، د.مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٤.
- لوكاتش، جورج، تاريخ والوعي الطبقي، ت: الكتور حنا الشاكر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت- لبنان ١٩٨٢.
- ماركوز، هربرت، الإنسان ذو البعد الواحد، ت: جورج ترابيشي، منشورات دار الآداب، ط٣، بيروت ١٩٨٨.
- هابرماس، يورجن، المعرفة والمصلحة، ، ت: حسن صقر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩.
- هابرماس، يورغن، الحداثة وخطابها السياسي، ت: جورج تامر، مراجعة: جورج كتورة، دار النهار للنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٢.
- هابرماس، يورغن، القول الفلسفي للحداثة، ت: د.فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥.

- هابرماس، يورغن، نظرية الفعل التواصلي – عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية، ت: فتحي المسكيني، مج١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت ٢٠٢٠.
- هوركهايمر، ماكس، بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية، ت: محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٦.
- هياس، أ.د.خليل شكري، تمثلات السرد القصصي – قراءة في نماذج عراقية، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط١، العراق٢٠٢١.
- وادي، الدكتور طه ، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١، القاهرة ٢٠٠٣.
- الوردي، الدكتور علي، الأحلام بين العلم والعقيدة، دار كوفان للنشر، ط٢، ١٩٩٤.

٢- الكتب الكوردية

١- نوسەر، كۆمەڵێ ، ئامادەكردنی: پشتیوان علی وئارام سدیق، ئەدەب وفاشیزم- ڕەخنە، ناوەندی ڕۆشنبیریی ڕەهەند، چ١، كوردستان- سلێمانی ٢٠٢٣.
٢- عەلی، ئومێد حەمە مێژووی خۆبەرهەمهێنانەوە – خوێندنەوەی سێ ڕۆمانی بەختیار عەلی، ناوەندی ڕۆشنبیریی ڕەهەند، چ١، سلێمانی ٢٠١٩.
٣- ئەنوەر، هەورامان ، گەشتێک بە ڕۆحی شاری مۆسیقارە سپیەكاندا، ناوەندی ڕۆشنبیری وهونەریی ئەندێشە، چ١، سلێمانی ٢٠١٧.

ثالثا: المجلات والجرائد

- الحسناوي، عبدالرحمن، التاريخ الجديد ثورة الذاكرة التي تراهن عليها المجتمعات المتطورة، صحيفة العرب، العدد: ١٢٩٠٢، السنة: ٢٠٢٣، الأحد ٢٤-٩-٢٠٢٣.
- عاشور، د.شفيقة اشتعال خطاب الذاكرة في رواية "بحر الصمت" لـ "ياسمينة صالح"، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد: ١، مج: ٢، ماي ٢٠٢١.
- علي، مداني، التشيؤ والأشياء في التجريب السردي الجزائري – المفهوم والتشكيل، مجلة فصل الخطاب، مجلد: ١١، العدد: ١، مارس، جامعة ابن خلدون تيارت– الجزائر ٢٠٢٢.

List of sources and references

First: novels

1- Arabic novels:

- Badr, Ali, the novel Masters of Illusion, Al-Rafidain - Lebanon, Alka Publishing House - Belgium, 6th edition, Beirut - Lebanon 2017.
- Badr, Ali, the novel Running after Wolves, The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut 2007.

- Badr, Ali, The Family Winter Novel, House of Cultural Affairs, Baghdad, 2022, Arab Foundation for Studies and Publishing, 2nd edition, Beirut 2007.
- Badr, Ali, The Infidel Novel, Al-Rafidain - Lebanon, Alka Publishing House - Belgium, 3rd edition, Beirut - Lebanon 2017.
- Badr, Ali, the novel Liars Get Everything, Al-Rafidain - Lebanon, Dar Alka - Belgium, 1st edition, Beirut - Lebanon 2017.

2- Kurdish novels

- Ali, Bakhtiar, Narrative Bandar Faily, Rahand Cultural Center, Vol. 1, Sulaimani
- Ali, Bakhtiar, Narrative of Jamshid Khani Mammam Kehemisha Ba La Xoxi Daybard, Andisha Cultural and Arts Center, Vol. 2, Sulaimani
- Ali, Bakhtiar, Narrative City of White Musicians, Ghazalnus Publishing Center, Vol. 5, Sulaimani
- Ali, Bakhtiar, Palace of Sad Birds (Narrative of the Sad Bird Palace), T: Ibrahim Khalil, Dar Al-Khan Publishing and Distribution, Volume 1, Syria
- Ali, Bakhtiar, Narrative of Daniel's Clouds, Andisha Cultural and Arts Center, Vol. 2, Sulaimani.

Second: Books

1- Arabic books

- Al-Wardi, Dr. Ali, Dreams between Science and Belief, Kofan Publishing House, 2nd edition, 1994.
- Hammad, Dr. Hassan Muhammad Hassan, Alienation according to Erich Fromm, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1st edition, Beirut 1995.
- Prepared by: Damanhouri, Dr. Rasha Saleh, Alienation and some personal variables - a comparative study, Center for Educational and Psychological Research, Umm Al-Qura University 1417 AH.
- Al-Rubaie, Dr. Rana Farman, Acts of Remembering and Strategies of Forgetting in the Iraqi Novel / Insights through Ideas / Paul Ricoeur - Jürgen Habermas - Hannah Arendt, Nineveh House for Studies, Publishing and Distribution, 1st edition, Syria - Damascus 2020.
- Marcuse, Herbert, The One-Dimensional Man, published by George Trabishi, Dar Al-Adab Publications, 3rd edition, Beirut 1988.

- Horkheimer, Max, The Beginnings of the Bourgeois Philosophy of History, published by: Muhammad Ali Al-Yousifi, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut 2006.
- Bahrawi, Hassan, The Structure of the Novel Form (Space - Time - Personality), Arab Cultural Center, 1st edition, Beirut 1990.
- Lukacs, George, History and Class Consciousness, edited by: Dr. Hanna Al-Shaker, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, 2nd edition, Beirut - Lebanon 1982.
- Hayas, Prof. Dr. Khalil Shukri, Representations of Storytelling - A Reading of Iraqi Models, General Union of Writers and Authors in Iraq, 1st edition, Iraq 2021.
- Habermas, Jürgen, Modernity and its Political Discourse, edited by: George Tamer, reviewed by: George Katoura, Dar Al-Nahar Publishing, 1st edition, Beirut 2002.
- Asman, Yan, Cultural Memory/Writing, Memory, and Political Identity in the First Great Civilizations, published by: Abdel Halim Abdel Ghani Rajab, Supreme Council of Culture, 1st edition, Cairo 2003.
- Ricoeur, Paul, Memory, History, Forgetting, edited by: Dr. Georges Zenati, United New Book House, 1st edition, Beirut 2009.
- Wadi, Dr. Taha, The Political Novel, Egyptian International Publishing Company - Longman, 1st edition, Cairo 2003.
- Al-Qasrawi, Dr. Maha Hassan, Time in the Arabic Novel, Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut 2004.
- Abdullah, Dr. Muhammad Qasim, The Psychology of Memory - Modern Issues and Trends, Politics Press - Kuwait, February 2002.
- Rousseau, Jean-Jacques, The Social Contract or the Principles of Political Rights, published by: Adel Zuaiter, Al-Nafiz Library, 1st edition, Cairo 2012.
- T: Ayashi, Dr. Munther, Signs and Textual Science, Center for Cultural Development - Aleppo, and Dar Al-Mahabah - Damascus, 2009.
- Hegazy, Dr. Samir Saeed, Dictionary of Contemporary Literary Criticism Terms, Dar Al-Afaq Al-Arabiyya, 1st edition, Cairo 2001.
- Habermas, Jürgen, The Philosophical Saying of Modernity, published by Dr. Fatima Al-Jayoushi, Ministry of Culture Publications, Damascus 1995.

- Esber, Ali Muhammad, The Nature of Philosophical Awareness, Dar Al-Takween for Writing, Translation and Publishing, 1st edition, Damascus 2010.
- Baraka, Dr. Bassam, and others, Principles of Analyzing Literary Texts, Egyptian International Publishing Company - Longman, 1st edition, Cairo 2002.
- Elias, Norbert, Society of Individuals, published by: Hani Saleh, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, 1st edition, Syria 2014.
- Anani, Dr. Muhammad, Modern Literary Terms - An English and Arabic Study and Dictionary, Egyptian International Publishing Company - Longman, 3rd edition, Cairo 2003.
- Alloush, Dr. Saeed, Dictionary of Contemporary Literary Terms, Reviewed by: Dr. Kayan Ahmed Hazem Yahya and Dr. Hassan Al-Talib, United New Book House, 1st edition, 2019.
- Saeed, Jalal al-Din, Dictionary of Philosophical Terms and Evidence, South Publishing House, Tunisia.
- Charaudeau, Patrick, and Mengnone, Dominique, Dictionary of Discourse Analysis, supervised by: Patrick Charaudeau and Dominique Mengnone, edited by: Abdel Qader Al-Muhairi and Hamadi Samoud, Ciantra House - National Center for Translation, Tunisia, 2008.
- Habermas, Jurgen, Knowledge and Interest, published by Hassan Saqr, Egyptian General Book Authority, Cairo 2009.
- Habermas, Jürgen, The Theory of Communicative Action - Rationality of Action and Social Rationalization, edited by: Fathi Al-Miskini, vol. 1, Arab Center for Research and Policy Studies, 1st edition, Beirut 2020.
- Bruner, Stephen Eric, Critical Theory - A Very Short Introduction, edited by: Sarah Adel, reviewed by: Mustafa Mohamed Fouad, 1st edition, Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt 2016.

2- The Kurdish Book

- writers, A group of, Prepared by: Pashtiwan Ali and Aram Sadiq, Literature and Fascism- Criticism, Rahand Cultural Center, Vol. 1, Kurdistan- Sulaimani
- Ali, Omid Hama History of Self-Reproduction – Reading Three Novels by Bakhtiar Ali, Rahand Cultural Center, Vol. 1, Sulaimani
- Anwar, Hawraman, A Journey to the Soul of the City of White Musicians, Andesha Cultural and Artistic Center, Vol. 1, Sulaimani.

Third: News Papers and magazines

- Ashur, Dr. Shafiqa Ishta'al Khattab al-Zakir in the narrative "Bahr al-Shamt" by Yasmina Saleh, Journal of Interpretation and Analysis of the Speech, Issue: 1, Volume: 2, May
- Al-Hasnawi, Abdul Rahman, Al-Tarikh al-Jadeed al-Thurah al-Zakrah al-Tay Tahan Aliha al-Mujtam'at al-Mutaturah, Al-Arab Newspaper, Number: 12902, Sunnah: 2023, Sunday 24-9-2
- Ali, Madani, Waste and Objects in the Algerian Cold Experiment – Concept and Structure, Journal of Chapter of Speeches, Volume: 11, Issue: 1, March, Ibn Khaldun Tiyart University – Algeria 2.